الفصل الثانى
مظاهر تطور العلوم
الأساسية فى مدن الصغد

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثانى

مظاهر تطور العلوم الأساسية فى مدن الصغد

تشتمل العلوم الأساسية على علم القراءات والتفسير والحديث والفقه وغيرها من العلوم المستمدة من القرآن والحديث. والقرآن الكريم هو كتاب الله الذى أنزله على رسوله بالهدى والحق، وهو المحور الذى تدور عليه ملكات المسلمين النظرية والأدبية، وهو أصل الشريعة الإسلامية ومصدر المعرفة لدى المسلمين، وشغل المسلمون ببلاغته وبيانه، وأقبلوا على دراسته واستخراج العلوم المنبثقة منه مثل قراءة القرآن وتجويده وتفسيره وأحكامه وغيرها[١].

أما الحديث النبوى فهو المصدر الثانى للتشريع الإسلامى بعد القرآن الكريم، وكانت دراسة علوم القرآن باعثا قويا على ظهور علوم الحديث الشريف، وذلك لأنه يفصل ما أجمله القرآن ويفسر ما يصعب على الناس فهمه[٢].

أولا: علم القراءات

علم يبحث فى كيفية قراءة ألفاظ القرآن الكريم[٣] من حيث إنه كيف يقرأ[٤]، والغرض منه تحصيل ملكة ضبط الاختلافات المتواترة، وفائدته صون

---

(١) رحيم كاظم محمد الهاشمى وعواطف محمد العربى شنقارو: الحضارة العربية الإسلامية، ص٢٠٥.

(٢) رحيم كاظم محمد الهاشمى وعواطف محمد شنقارو: المرجع نفسه، ص٢٠٩.

(٣) عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص١٦٩. عصام عبد الرءوف الفقى: معالم التاريخ الإسلامى، ص٣٨٢.

(٤) محمد عادل عبد العزيز: الحضارة الإسلامية وعوامل الازدهار، دار غريب. القاهرة، ٢٠٠٠، ص١٥٩.

كلام الله تعالى عن تطريق التحريف والتغيير[١]. وبيان الطرق المختلفة التى يتلو بها القراء القرآن الكريم وهى ثابتة بأسانيدها إلى رسول الله ﷺ بحيث لا يتغير المعنى بتغير الكلمة[٢].

أزمع الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه على جمع القرآن الكريم وكتابته، بعد ما بلغه من اختلاف الصحابة فى قراءته، على أنه لم يمض على إرسال مصاحفه إلى الأمصار زمن قصير حتى أصبح لأهل كل مصر قراءة[٣]. ولا غرو فى ذلك لأن تباين لهجات العرب والمسلمين من الشعوب المفتوحة أوجد اختلافا فى النطق بحروف القرآن الكريم[٤].

أما سبب اختلاف القراءات، فهى أن الجهات التى وجهت إليها المصاحف كان بها من الصحابة من حمل عنه أهل تلك الجهة، وكانت المصاحف خالية من النقط والشكل؛ وذلك لخاصية الخط العربى الذى يجعل الكلمة الواحدة تقرأ بأشكال مختلفة[٥]، فثبت أهل كل ناحية على ما كانوا نقلوه سماعا عن الصحابة ومن ثم اتبع أهل كل مصر قارئا يثقون بصحة قراءته، لما رأوا فى ذلك من الاحتياط للقرآن. ومن ثم نشأ الاختلاف بين قراءة الأمصار مع كونهم متمسكين بحرف واحد[٦]، واشتهر سبع قراءات

---

(١) طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة، تحقيق كامل بكرى وعبد الوهاب أبو النور، جـ٢، مطبعة الاستقلال الكبرى، القاهرة، ص٦.

(٢) الموسوعة الثقافية، مؤسسة فرانكلين للطباعة، ١٩٧٢، ص٧٥٥.

(٣) جرجى زيدان: تاريخ التمدن الإسلامى، جـ٣، ص٦٦٦.

(٤) عبد المنعم ماجد: المرجع نفسه، ص١٦٩. عصام عبد الرءوف الفقى: المرجع نفسه، ص٣٨٢.

(٥) شمس الدين بن الجزرى: منجد المقرئين ومرشد الطالبين، القاهرة، ١٩٣١، ص٥٥، ٥٦. محمد الحسينى عبد العزيز: الحياة العلمية فى الدولة الإسلامية، ص٦٨.

(٦) قيس آل قيس: الإيرانيون والأدب العربى "رجال علوم القرآن"، مج١، مؤسسة البحوث والتحقيقات الثقافية، طهران، ١٩٨٤، ص١٦.

معينة تواتر نقلها، فصارت هذه القراءات السبع أصولا للقراءة، ويعدها بعضهم عشرا، ونسبت كل طريقة من هذه الطرق إلى من اشتهر بروايتها من بين الرواة الكثيرين(١).

فالقراءات السبع هى القراءات التى جمعها ابن مجاهد (ت٣٢٤هـ/ ٩٣٥م) باختياره الخاص فاشتهرت عنه، والسبب فى إجماع العلماء على هذه

---

(٣) القراء المشهرون الذين نسبت إليهم هذه الطرق هم:- أبو الحسن الكسائى على بن حمزة ابن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدى انتهت إليه رياسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات(ت٩٣هـ/ ٧١١م)*. - أبو معبد عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله الإمام المالكى الدارى، إمام أهل مكة فى القراءة(ت١٢٠هـ/ ٧٣٧م)** - عاصم بن بهدله أبى النجود شيخ الإقراء بالكوفة، انتهت إليه رياسة القراءة بالكوفة (ت١٢٧هـ/ ٧٤٤م)***. - عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة بن عامر اليحصبى إمام أهل الشام فى القراءة(ت١٢٨هـ/ ٧٤٥م)****. - أبو عمر بن العلاء زبان بن العلاء بن عمر بن عبد الله التميمى المازنى المقرئ قرأ بمكة والمدينة والكوفة والبصرة على شيوخ كثيرة(ت١٥٤هـ/ ٧٧٠م)*****. - نافع بن عبد الرحمن بن نعيم أو رويم أو أبو الحسن وهو مولى جعونه بن شعوب الليثى حليف حمزة بن عبد المطلب المدنى أصله من أصبهان كان إمام أهل المدينة وهم صاروا إلى قراءته(ت١٦٩هـ/ ٧٨٥م)******. والقراءات الثلاث الزائدة على السبع هى قراءة يعقوب وخلف وأبى جعفر بن القعقاع وهى لا تخالف رسم المصحف وصارت القراءات عشر*******

* طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة، جـ٢، ص٤١.

** طاش كبرى زاده: المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٩.

*** الذهبى: معرفة القراء على الطبقات والأمصار، جـ١، ص٧٣.

**** طاش كبرى زاده: المصدر نفسه، جـ٢، ص٣٤.

***** الكتبى: فوات الوفيات، جـ٢، ص٢٨.

****** طاش كبرى زاده: المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٦.

******* ابن الجزرى: منجد المقرئين ومرشد الطالبين،ص٤٩. محمد عادل عبد العزيز: الحضارة الإسلامية، ص١٥٩

القـراءات هو كثـرة أهل وأصـحاب البـدع الذين يقـرءون بما لا تحل تلاوته، تاركين المصحف الإمام. وبدون شك فـإن هذا يؤدى إلى أن يتسع الخرق على الراقع، وتمتد يد البـدعة إلى قراءات القرآن الصـحيحة لتـحرف فيهـا، ولهذا تجرد قوم بشأن القرآن العظيم فاختاروا فى كل مـصر وجه إليها مصحف أئمة مشهورين بالثقة، والأمانـة فى النقل وحسن الدراية وكمال العلم أفنوا عمرهم فى القراءة والإقـراء واشتهـر أمرهم، وأجمع أهل الـعصرعلى عـدالتهم ولم تخرج قراءتهم عن خط مصحفهم(١).

قال ابن الجزرى: "أجمع الأئمة على قراءات السبعة" ولكن لا يلزم من ذلك أن يكون ما عـدا السبعية ليس بـصحيح(٢). وقال النبى: "أنزل القرآن على سبعة أحرف"(٣) وما اختلف فيه القراء بمعـزل لأن ما اختلف فيه القراء لا يخرجون فيه عن خط المصحف الذى كتب على حرف واحد(٤).

جدير بالذكر أن القراءات السبع لم تكن متميزة عن غيرها إلا فى القرن الرابع الهجـرى عندما جمـعها ابن مـجاهد ولم يكن متـسع الرواية والرحلة كغيره ممـن هو أوسع رحلة، وفى ضوء ذلك لا يعلم أحد" من المسلمين حظر القراءة بالثـلاث الزائدة على السبع(٥) ولما كانت هذه القراءات مـتواترة تلقاها جماعة عن جـماعة مستحـيل تواطؤهم على الكذب وإذا كانت كذلك فليس تواترها ولا تواتر السـبع مقـتـصر عند أهلهـا فقـط بل هى متـواترة عند كل مسلم(٦).

---

(١) عبـد العال سالم مكرم وأحـمد مختـار عمر: مـعجم القراءات القـرآنية مع مقـدمة فى القراءات وأشهر القراء، جـ١، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٨٢، ص ٧٣، ٧٤.

(٢) ابن الجزرى: منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ص٥٢.

(٣) المنذرى: مختصر صحيح مسلم، ص٦٣٥.

(٤) ابن الجزرى: المصدر نفسه، ص ٥٥، ٥٦.

(٥) ابن الجزرى: المصدر نفسه، ص٢٧.

(٦) ابن الجزرى: المصدر نفسه، ص٤٥.

عنى علماء المسلمين بالقراءات حتى صارت علما هاما بين العلوم التى انبثقت عن القرآن الكريم، وألف فيها عدد غير قليل من الكتب، ويقول ابن خلدون" القرآن هو كلام الله المنزل على نبيه المكتوب بين دفتى المصحف، وهو متواتر بين الأمة إلا أن الصحابة رووه عن رسول الله على طرق مختلفة فى بعض ألفاظه، وكيفيات الحروف فى أدائها، وتنوقل ذلك واشتهرت إلى ان استقرت منها سبع طرق معينة، تواتر نقلها أيضا بأدائها واختصت بالانتساب إلى من اشتهر بروايتها من الجم الغفير، فصارت هذه القراءات السبع أصولا للقراءة وربما زيد بعد ذلك قراءات أخرى لحقت بالسبع إلا أنها عند أئمة القراءة لا تقوى قوتها فى النقل"[1].

كان من مشاهير القراء فى سمرقند أبو الحسن على بن أحمد بن محمد ابن الحسن الاسترابادى (ت٤٣٢هـ/ ١٠٤٠م) قال النسفى: كان الاسترابادى مجتهدا يكتب عامة النهار وهو يقرأ القرآن ظاهراً، وكان لا يمنعه أحد الأمرين عن الآخر، وإذا دخل عليه أحد فأكثر قطع كلامه وجعل يقرأ القرآن، وكان يختم كل يوم ختمة[2] وأبو أحمد عبد الرحمن بن أحمد ابن محمد بن العباس بن إسماعيل بن أحمد المقرئ الهروى الساكن سمرقند (ت٤٣٢هـ / ١٠٤٠م) كان من كبار القراء[3].

كما يعد أبو نصر منصور بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن محمد ابن بشر بن كامل بن زيد بن سعيد بن الحسن بن أحمد بن محمد بن معتمد ابن هبة الله بن زيد بن جرير بن عبد الله السمرقندى المقرئ من أشهر قراء عصره (ت٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م) كان يعرف بالعراقى لكثرة مقامه بالعراق وسفره

---

(١) ابن خلدون: العبر، جـ١، ص٤٣٧.

(٢) السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، جـ٥، ص٢٤٠، ٢٣٩. النسفى: القند فى ذكر علماء سمرقند، ص٥٤٥.

(٣) النسفى: المصدر نفسه، ص٣٦٧.

إليها، وكان من القراء المجودين، رحل فى طلبها إلى العراق والحجاز وأدرك الشيوخ من القراء، وقرأ عليهم القرآن ورجع إلى بلاد ما وراء النهر وصنف التصانيف القيمة فى القراءات، ومنها كتاب" الوقوف" وأيضا الكتاب الذى رآه السمعانى ووصفه بأنه غاية فى الإحسان وأورد فيه الروايات وذكر القراء سبعا(١).

ومن القراء البارزين الشيخ أبو حفص عمر بن بانوش بن إسماعيل بن محمد بن إبراهيم ابن عطاء السمرقندى (ت بعد ٤٥٩هـ/ ١٠٦٦م) وكان شيخه محمد بن إبراهيم بن عطاء السمرقندى(٢). كما برز من مقرئى سمرقند أبو محمد عبد الله بن أبى بكر بن عبد الله الغازى الكدكى (ت٤٧١هـ/ ١٠٧٨م) من أهل سمرقند صهر الإمام عمر القراء، روى عنه أبو حفص عمر ابن أبى بكر بن أبى الأشعث القراء(٣).

ومن كبار القراء أحمد بن على بن محمد بن يحيى بن الفرج أبو نصر الهاشمى البصرى الهبارى (ت٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م) رحل فى طلب القراءات إلى العديد من البلدان الإسلامية فدخل بغداد وقرأ بها ودخل دمشق والعراق ثم جال فى خراسان وبلاد ما وراء النهر ودخل بخارى وسمرقند(٤). ومن بينهم عبد الحميد بن منصور بن محمد بن عبد الله الأستاذ أبو محمد البجلى، الحريرى المقرئ المجود شيخ القراء بسمرقند (ت٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م)(٥) وأيضا أبو بكر أحمد بن عمر بن الأشعث السمرقندى المقرئ (ت٤٨٩هـ / ١٠٩٥م) نزيل دمشق ثم نزيل بغداد، روى عنه ابنه أبو القاسم إسماعيل السمرقندى،

---

(١) السمعانى: الأنساب، جـ٤، ص ١٧٥، ١٧٦.

(٢) النسفى: المصدر نفسه، ص٤٠٥.

(٣) السمعانى: المصدر نفسه، جـ٥، ص٣٨.

(٤) الذهبى: تاريخ الإسلام، جـ٣٣، ص ٣٥٢، ٣٥٣.

(٥) الذهبى: المصدر نفسه، جـ٣٣، ص١٧٨. السمعانى: الأنساب، جـ٤، ص١٧٦.

وكان أبو بكر يكتب المصاحف من حفظه وكان إذا فرغ من الوجه كتب الوجه الآخر إلى أن يجف ثم يكتب الوجه الذى بينهما، وكان محمودا متقنا عارفا بالروايات محققا فى الأخذ وكان يكتب على طريقة الكوفيين[1] وقرأ أبو بكر أحمد السمرقندى على أبى على الأهوازى (ت٤٤٦هـ / ١٠٥٤م) الذى كان أشهر قراء عصره، وكان أعلى من بقى فى الدنيا إسنادا فى القراءات، عنى من صغره بالروايات والأداء وقرأ لعاصم وأبى حفص، ورحل إليه القراء لتبحره فى الفن وعلو إسناده[2].

ويعد أبو نصر أحمد بن محمد بن المؤيد القلاس المقرئ (ت٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م) نزيل سمرقند من أشهر المقرئين، كان مقرئا فاضلا، له مصنفات عديدة منها " تحفة الأخبار فى أقسام الأخبار" ، "عدة السالكين وعمدة السائرين" و"المنية فى القراءات"[3] ومحمد بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن على بن لقمان النسفى المقرئ (ت٤٩٤هـ/ ١١٠٠م) نزيل سمرقند، وهو والد أبى حفص عمر[4]. وكان الشيخ أبو محمد عبد الجبار بن أحمد بن

---

(١) ابن الجزرى: غاية النهاية فى طبقات القراء، جـ١، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٣٣، ص٩٢. ابن الجوزى: المنتظم، جـ٩، ص٩٨. الدمياطى: المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، تحقيق قيصر أبى الفرج، جـ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٦٤. الذهبى: تذكرة الحفاظ، جـ ٤، ص١٢٢٧. الصالحى: طبقات علماء الحديث، جـ٣، ص٤١٧. ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، جـ٥، ص٩١. النووى: مختصر طبقات الفقهاء، تحقيق عادل عبد الموجود وعلى معوض، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٩٥م، ص٣٣٢. محمود سعيد ممدوح: الاحتفال بمعرفة الرواة الثقات الذين ليسوا فى تهذيب الكمال، مج٢، الإمارات، ٢٠٠٣، ص ٧٢، ٧٣.

(٢) الذهبى: معرفة القراء الكبار على الطبقات والإعصار، تحقيق محمد سيد جاد الحق، جـ١، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ص٣٢٢ - ٣٢٤.

(٣) إسماعيل باشا البغدادى: هدية العارفين، جـ١، ص٨١.

(٤) الذهبى: تاريخ الإسلام، جـ٣٣، ص١٩٦.

الحسن القطان السمرقندى (ت٤٩٧هـ/ ١١٠٣م) من كبار المقرئين[١].

كما يعد أبو الطيب طاهر بن محمد بن جعفر بن نصر بن عثمان بن سعيد بن عبد الله بن عبد المنان بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد (ت٥٠١هـ/ ١١٠٧م) من القراء البارزين، سكن سمرقند، وكان ابنه محمد بن طاهر كذلك من كبار المقرئين بسمرقند[٢] والشيخ المقرئ أبو الحسن على بن عبد الرحمن بن يوسف النسفى (ت٥١٧هـ/ ١١٢٣م) نزيل سمرقند[٣]. وأبو سعيد هلال بن عبد الرحمن بن شريح بن عمر بن أحمد (٥١٩هـ/ ١١٢٥م) وهو من سلالة بلال بن رباح مؤذن رسول الله طاف البلاد واستقر بسمرقند، سمع وقرأ القرآن، وكان شيخًا جهورى الصوت بالقرآن حسن النغمة بالأذان[٤].

ومن كبار القراء أبو محمد عبد الله بن عثمان بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد المقرئ (ت٥١٩هـ/ ١١٢٥م) نزيل سمرقند[٥]. وأبو بكر محمد بن الحسن بن جعفر بن على بن المظفر بن عمر بن الحسين بن أبى بكر بن عبد الجليل بن أحمد الياركثى (ت٥٢٠هـ/ ١١٢٦ م) سكن سمرقند، وقرأ بها على مشايخ عصره[٦] وعبد الغفار بن أحمد بن محمد بن يعقوب السمرقندى (ت٥٢٢هـ/ ١١٢٨م) توفى فى البادية وهو فى الطريق إلى الجح[٧].

---

(١) النسفى: القند فى ذكر علماء سمرقند، ص٤٠٥.

(٢) النسفى: القند فى ذكر علماء سمرقند، ص٢٨٧.

(٣) النسفى: المصدر نفسه، ص٥٥٤.

(٤) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ٩، ص٢٣٤. النسفى: المصدر نفسه، ص١٠٨.

(٥) ابن الأثير: اللباب فى تهذيب الأنساب، جـ٣، ص٥١. العسقلانى: تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق محمد البجاوى، جـ٣، بيروت ١٩٧٦م، ص١١٧٦.

(٦) السمعانى: الأنساب، جـ٤، ص٦٧٥.

(٧) النسفى: المصدر نفسه، ص٤٠٧.

كما كان محمد بن عمر بن عبد العزيز أبو بكر الحنفى المقرئ البخارى (ت٥٢٥هـ / ١١٣٠م) ويعرف بكاك، من أشهر المقرئين، سافر إلى البلاد وسمع بنيسابور وبخارى وسمرقند وهمدان وعاد إلى سمرقند فسكنها مدة ثم قدم بغداد وحج فى هذه السنة وحدث بالحرمين[١]. وإسماعيل بن أحمد بن عمر السمرقندى (ت٥٣٦هـ/ ١١٤٢م) محدث حافظ مقرئ قرأ على أبيه[٢]. وعمر بن المظفر بن حفص المغازى البغدادى المقرئ المحدث (ت٥٤٢هـ/ ١١٤٧م) قرأ بالقراءات السبع على أحمد بن أبى الأشعث السمرقندى بطرق الموجز للاهوازى، وكان من أهل العلم والعمل[٣]. وأبو الفتح عبد الملك بن عبد الله الكروخى الهروى (ت٥٤٨هـ/ ١١٥٣م) شيخ صالح سديد السيرة سكن بغداد مدة ورحل فى طلب العلم، وسمع بقراءة المؤتمن بن أحمد الساجى وأبى أحمد عبد الله بن أحمد بن السمرقندى الحافظين من أبى عطاء عبد الرحمن بن عاصم الجوهرى[٤]. كما كان شهاب الدين أبو أحمد محمد ابن محمد بن عمر الخالدى الجنبذى السمرقندى شيخ الإقراء بسمرقند قرأ بالروايات على والده، وكان عارفا بالمشهور والشاذ، سمع من أبى سعد السمعانى، روى عنه ابنه المقرئ شمس الدين أبو محمود محمد وأبو رشيد الغزال[٥].

---

(١) ابن الجوزى: المنتظم، جـ١٠، ص٢٤. سبط بن الجوزى: مرآة الزمان، جـ ٨، ص١٣٩. الصفدى: الوافى بالوفيات، جـ٤، ص٢٤٣.

(٢) عمر رضا كحاله: معجم المؤلفين، مج١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣، ص٣٥٨.

(٣) الذهبى: معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار، جـ٢، ص٤٠٧.

(٤) عماد الدين الأصفهانى: خريدة القصر، جـ٢، ص٥٩.

(٥) ابن الجزرى: غاية النهاية فى طبقات القراء، جـ٢، ص٢٤٦. ابن حجر العسقلانى: تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، جـ١، ص٣٦١. الذهبى: المشتبه فى الرجال، تحقيق على محمد البجاوى، جـ١، القاهرة، ١٩٦٢، ص١٨٣. السمعانى: الأنساب، جـ٢، ص٩١.

كان من بين القراء البارزين محمد بن محمود بن محمد على (ت٥٥٦هـ/ ١١٦٠م) سبط ناصر الدين أبى القاسم السُمرقندى، له المصنفات الكثيرة فى علم القراءات منها "الخلافات بين شعبة وحفص" الروايتين لعاصم، كتب رواية شعبة بالجمرة ورواية حفص بالسواد. وله "تجويد الفاتحة والتوحيد" و"إيضاح الخوالق فى رسم المصاحف"، "روح المريد فى شرح عقد الفريد"، "عقد الفريد فى علم التجويد"، "كتاب التسجير على طريق التشجير فى علم القراءات" و"المبسوط والمضبوط فى القراءات السبعة فارسى"[١] والقراءات السبع فى ثلاثة كتب، أوله" الحمد لله الذى أذاق قلوب القارئين حلاوة تلاوة القرآن، ويذكر فى أخره فمن أراد التفصيل فليراجع تأليفنا روح المريد فى شرح العقد الفريد[٢].

كما كان من كبار القراء محمد بن الحسين بن الحسين بن محمد بن إسحاق بن موهوب ابن عبد الملك بن منصور السمرقندى المقرئ (ت٥٨٢هـ/ ١١٨٦م) خطيب سمرقند من أفاضل علماء بلده[٣]. وأبو عبد الله محمد بن أبى بكر بن عثمان بن إبراهيم السمرقندى (ت٦٣١هـ/ ١٢٣٣م) القارئ بالتجويد، روى عن أحمد بن على بن هبة الله المأمون[٤].

خلاصة القول: اهتم علماء الصغد بالقراءات القرآنية حتى أصبحت علمًا مدونًا بين علوم القرآن الكريم، امتثالا لقول رسول الله ﷺ: "تعاهدوا هذا القرآن فوالذى نفس محمد بيده لهو أشد من الإبل فى عقلها". وقوله

(١) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج١، ص٢٠٩. إسماعيل باشا البغدادى: هدية العارفين، جـ٢، ص١٠٦.

(٢) آقا بزرك الطهرانى: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، جـ١٩، ط٢، بيروت، ١٩٧٨م، ص٥٥.

(٣) الذهبى: تاريخ الإسلام، جـ٤١، ص١٤٧.

(٤) ابن الأثير: اللباب فى تهذيب الأنساب، جـ٣، ص٥١. ابن حجر العسقلانى: المصدر نفسه، جـ٣، ص١١٧٦. السمعانى: المصدر نفسه، جـ٤، ص٥٣٦..

ﷺ: "ما أذن الله لشيء ما أذن لنبى الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به" ومعنى أذن الله أى استمع، وهو إشارة إلى الرضى والقبول[١]. فظهر عدد غير قليل من أشهر علماء القراءات فى مدن الصغد كانت إليهم الرحلة من طلاب العلم من أقطار العالم الإسلامى، وكانت لهم المصنفات الجليلة فى علم القراءات.

ثانيا: علم التفسير

أشرف العلوم على الإطلاق، وأولاها بالتفضيل على الاستحقاق وأرفعها قدرا بالاتفاق هو علم التفسير لكلام القوى القدير[٢]. والتفسير لغة مأخوذة من الفسر وهو البيان والكشف فالتفسير بمعنى التبيين والإيضاح[٣]. ومنه قوله تعالى "وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً"[٤]. أى تبيينا وإيضاحا فالمراد إذا بالتفسير بيان معانى وألفاظ آيات القرآن الكريم[٥]. واصطلاحا علم يبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية[٦]، وبحسب ما تقتضيه القواعد العربية ومبادئ العلوم العربية وأصول الكلام وأصول الفقه والجدل

---

(١) النووى: رياض الصالحين، ص٣١٣.

(٢) الشوكانى: فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير، راجعه يوسف الغوشى، جـ١، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٦، ص١٣

(٣) الماتريدى السمرقندى: تفسير الماتريدى المسمى تأويلات أهل السنة، تحقيق إبراهيم عوض والسيد عوضين، جـ١، القاهرة، ١٩٧١، ص٢٣. كامل مصطفى الشيبى: الصلة بين التصوف والتشيع، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ٤٠٨. محمد أبو النور الحديدى صقر: التفسير بالمأثور ومناهج المفسرين فيه، مكة المكرمة، ١٩٨٣، ص١١.

(٤) الفرقان: آية ٣٣

(٥) محمد حسين الذهبى: التفسير والمفسرون، جـ١، القاهرة، ١٩٦١، ص١٤، ١٣.

(٦) أبو زيد شلبى: تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى، ط٣، القاهرة، ١٩٦٤، ص٢٠٠.

وغير ذلك من العلوم الجمة، والغرض منه معرفة معانى آيات القرآن الكريم، وفائدته حصول القدرة على استنباط الأحكام الشرعية، وموضوعه كلام الله الذى هو منبع كل حكمه ومعدن كل فضيلة، وغايته التوصل إلى فهم معانى القرآن واستنباط حكمه لينال به السعادة الدنيوية والأخروية[1].

نزل القرآن الكريم بلغة العرب وعلى أساليبهم فى كلامهم وقال عز من قال: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ"[2]. فألفاظ القرآن الكريم عربية إلا ألفاظ قليلة وكان طبيعيا أن يفهمه النبى ﷺ جملة وتفصيلا بعد أن تكفل الله تعالى له بالحفظ والبيان" إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ"[3] وأنزل القرآن مجزئا فى ثلاث وعشرين سنة وكان لكل آية توقيتها ومناسبتها وتلقى الصحابة تفسير القرآن المجيد، فى مجالس رسول الله حيث إذا نزلت آية بينها النبى الكريم وما المراد منها، وما تشتمل عليه من حلال وحرام، وترغيب وترهيب وبشارة وإنذار ومحكم ومؤول، إلى آخر ذلك مما عرفوه من علوم القرآن وأغراضه[4]، وكان طبيعيا أن يتفاوت الصحابة فى فهمهم للقرآن وبيان آياته ومعانيه[5].

ويقول ابن خلدون: "اعلم أن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم فكانوا يفهمونه ويعلمون معانيه فى مفرداته وتراكيبه وكان ينزل جملا جملا وآيات آيات لبيان التوحيد والفروض الدينية بحسب الوقائع ومنها ما هو فى العقائد الإيمانية ومنها ما هو ناسخا له، وكان النبى يبين المجمل ويميز

---

(١) محمد راغب الطباخ: الثقافة الإسلامية، حلب، ١٩٥٠م، ص٩١.

(٢) إبراهيم: آية٤.

(٣) القيامة: آية ١٧ - ١٩.

(٤) النسفى: تفسير النسفى المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق إبراهيم محمد رمضان، مج١، دار القلم، بيروت، ١٩٨٩، ص٨.

(٥) حسن عبد الحميد ومحمود عرفة محمود: معالم تاريخ الحضارة العربية، ص٢٨٩.

الناسخ من المنسوخ ويعرفه أصحابه فعرفوه وعرفوا سبب نزول الآيات ومقتضى الحال منقولا عنه"[1].

أنواع التفاسير

كان التفسير يتناقل بطريق الرواية، فالصحابة يروون عن رسول الله، كما يروى بعضهم عن بعض، والتابعون يروون عن الصحابة كما يروى بعضهم عن بعض وهذه الخطوة الأولى فى التفسير. ثم خطا التفسير خطوة ثانية بعد عصر الصحابة والتابعين، حيث ابتدأ التدوين لحديث رسول الله وكانت أبوابه متنوعة، وكان التفسير بابا من هذه الأبواب التى اشتمل عليها الحديث، فلم يفرد له تأليف خاص يفسر القرآن سورة سورة، وآية آية. ثم خطا التفسير خطوة ثالثة عندما انفصل عن الحديث، واصبح علما قائما بنفسه، ووضع التفسير لكل آيه من آيات القرآن، ورتب ذلك على حسب ترتيب المصحف[2]، ولم يقف التفسير عند هذه الخطوة، بل خطا بعدها خطوة رابعة لم يتجاوز بها حدود التفسير بالمأثور وإن كان قد تجاوز روايته بالإسناد. والخطوة الخامسة كانت أوسع الخطا وأفسحها حيث إنها امتدت من العصر العباسى إلى يومنا هذا، فبعد أن كان تدوين التفسير مقصورا على رواية ما نقل عن سلف هذه الأمة تجاوز بهذه الخطوة الواسعة إلى تدوين تفسير اختلط فيه الفهم العقلى بالتفسير النقلى، وكان ذلك على تدرج ملحوظ[3].

التفسير بالمأثور

وهو تفسير القرآن بالقرآن. قال النسفى: "هو أفضل أنواع التفسير،

---

(١) ابن خلدون: العبر، جـ١، ص٤٣٩، ٤٣٨.

(٢) محمد حسين الذهبى: التفسير والمفسرون، جـ١، ص١٤١، ١٤٠.

(٣) محمد حسين الذهبى: التفسير والمفسرون، جـ١، ص١٤٦، ١٤٥.

لإجماع العلماء على أن أشرف أنواع التفسير وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام جلا وعلا من الله جل جلاله"[1]. إذا فالتفسير المأثور هو بيان معنى القرآن الكريم بما جاء فى القرآن نفسه، وبما جاء فى السنة الصحيحة وبما نقل عن الصحابة وعن التابعين[2]. واقتصر أصحاب التفسير بالمأثور فى تفاسيرهم على مجرد الرواية وقنعوا برفع هذه الراية[3].

التفسير بالرأى

هو تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم فى القول ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالتها، واستعانته فى ذلك بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن الكريم، وغير ذلك من الأدوات التى يحتاج إليها المفسر[4]، كعلم اللغة وعلم الصرف وعلوم البلاغة وعلم القراءات، وأسباب النزول وعلم القصص وعلم الناسخ والمنسوخ، وهذه هى العلوم التى اعتبرها العلماء أدوات لفهم كتاب الله[5].

التفسير الإشارى وتفاسير الفرق المختلفة

تناولت كل طائفة كتاب الله تفسره بما ارتضته لنفسها، فظهر كثير من التفاسير التى تنطبع فيها صور المفسرين على اختلاف مشاربهم، وتباين منازعهم، فنجد تفسير أهل السنة تظهر فيه عقيدة أهل السنة، وتفاسير الشيعة

---

(١) النسفى: تفسير النسفى المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل، جـ١، ص٩.

(٢) محمد أبو النور الحديدى صقر: التفسير بالمأثور ومناهج المفسرين فيه، ص٢٩.

(٣) الشوكانى: فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير، ص١٤.

(٤) محمد حسين الذهبى: المرجع نفسه، جـ١، ص٢٥٥. محمد حسين الذهبى: علم التفسير، دار المعارف، القاهرة، ص٤٧.

(٥) حسن عبد الحميد ومحمود عرفة محمود: معالم تاريخ الحضارة العربية، ص٢٩٢. محمد حسين الذهبى: التفسير والمفسرون، جـ١، ص٢٦٦ - ٢٦٨.

تظهر فيها عقيدة التشيع وهكذا، ويمكن إرجاع هذه التفاسير إلى نوعين: الأول التفسير الإشارى، والثانى تفسير أهل الكلام[١]. والتفسير الإشارى أو الصوفى وهو تأويل القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف، مع إمكان الجمع بينها وبين الظاهر[٢].

والتفسير الإشارى مقبول إذا توافر له ثلاثة:

* ألا يكون تأويلا بعيدا يتنافى مع ما يظهر من معنى النظم الكريم.
* ألا يدعى أنه المراد وحده دون الظاهر.
* أن يكون له شاهد من الشرع يؤيده[٣].

والنوع الثانى تفاسير أهل الكلام وهم فرق، تناولت كل فرقة كتاب الله تفسره بما يظاهر رأيها، وهم مع هذا مختلفون فى التعصب لمذهبهم، وأهمها تفاسير الباطنية، وهم طوائف فمنهم الإسماعيلية والسبعية، وتفاسيرهم إلحاد وكفر لأنها تؤدى إلى نقض الشريعة والخروج عن الإسلام[٤].

التفسير العلمى

هو نوع من التفسير يحاول أصحابه الربط بين الدلالات القرآنية ومستحدثات العلوم[٥].

ويطالعنا فى مدن إقليم الصغد عدد" عظيم" من علماء التفسير الذين أفنوا أعمارهم فيه، من أجل تطوره وازدهاره. ومن أشهر علماء التفسير عمر

---

(١) أبو زيد شلبى: تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى، ص٢١١، ٢١٠.
(٢) محمد حسين الذهبى: علم التفسير، ص٧٠.
(٣) أبو زيد شلبى: تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى، ص٢١١.
(٤) أبو زيد شلبى: المرجع نفسه، ص٢١٣، ٢١٢.
(٥) حسن عبد الحميد ومحمود عرفة محمود: معالم تاريخ الحضارة العربية، ص٢٩٣.

ابن محمد بن عبد الله بن نصر البسطامى البلخى (ت٤٧٥هـ/ ١٠٨٢م) رحل فى طلب العلم إلى مرو وهراة وسمرقند، وكان حسن الخلق، ظريف الجملة والتفصيل. قال السمعانى: حدثنا عنه مشايخنا[١].

ومن العلماء البارزين فى التفسير الشيخ أبو محمد أحمد عمر بن عبد الله بن محمد الهروى (ت٤٨١هـ/ ١٠٨٨م) المعروف بـ"بيرهرى" أى صاحب التفسير، سكن الكشانية[٢]. وعلى بن محمد بن عبد الكريم بن موسى البزدوى (ت٤٨٢هـ/ ١٠٨٩م) الإمام الكبير الجامع بين أشتات العلوم، نزيل سمرقند له تصانيف كثيرة منها كتاب فى تفسير القرآن يقال إنه مائة وعشرون جزء كل جزء فى حجم مصحف[٣].

ويعد الإمام أبو محمد بن محمد بن محمد بن أيوب القطوانى (ت٥٠٦هـ/ ١١١٢م) من أشهر علماء التفسير، كان مفسراً مشهورا وهو أستاذ الولوالجى، لما ورد سمرقند اختص به، ويقال أنه سقط عن دابته بعد ما انصرف من صلاة الجمعة فاندقت عنقه ومات، وخلف أولادا رأى أحدهم السمعانى[٤]. ومن كبار المفسرين أبو محمد أحمد بن يعقوب بن أحمد بن

(١) الاسنوى: طبقات الشافعية، جـ١، ص١٢٥. السمعانى: الأنساب، جـ١، ص٣٥٢. عماد الدين الاصفهانى: خريدة القصر وجريدة أهل العصر فى ذكر فضلاء أهل خراسان وهراة، ص١٠٨.

(٢) النسفى: القند فى ذكر علماء سمرقند، ص٤٨٣.

(٣) الزركشى: تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكى، تحقيق عبد الله ربيع وسيد عبد العزيز، جـ١، ط٢، القاهرة، ١٩٩٩، ص٢٠١. اللكنوى: الفوائد البهية، تعليق السيد محمد بدر الدين أبى الفوارس النعسانى، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٤هـ، ص١٢٤.

(٤) ابن الأثير: اللباب فى تهذيب الأنساب، جـ٣، ص٤٧. الداودى: طبقات المفسرين، تحقيق على محمد عمر، جـ٢، القاهرة، ١٩٧٢م، ص٢٣٤. السمعانى: الأنساب، جـ٤، ص٥٢٦. القرشى: الجواهر المضية، جـ٣، ص٣١٩. النسفى: القند فى ذكر علماء سمرقند، ص٤٨٧. ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٤، ص٣٧٥.

إبراهيم بن يوسف الروزبارى (٥٢٦هـ/ ١١٣١م) سكن سمرقند، وكان إماما مفسرا بارعا وهو تلميذ الشيخ الهروى المفسر روى تفسيره عنه، وحدث عن أبى عبد الله طاهر بن محمد ابن أحمد الحديدى الواعظ،روى عنه أبو الحسن على بن محمد الماتريدى(١).

كما كان نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد النسفى السمرقندى (ت٥٣٧هـ/ ١١٤٢م) من أشهر المفسرين صنف فى كل علم، ومن أجل مصنفاته ما صنفه فى التفسير، ومنه " التيسير فى التفسير" ذكر فى الخطبة مائة اسم من أسماء القرآن ثم عرف التفسير والتأويل ثم شرع فى المقصود، وفسر الآيات بالقول وبسط فى معناها كل البسط، كما صنف "الأكمل الأطول فى التفسير "(٢).

ومن أئمة التفسير الكبار علاء الدين أبو الفتح محمد بن عبد الحميد بن الحسين بن حمزة الاسمندى السمرقندى (ت٥٥٢هـ/ ١١٥٧م) كان يملى التفسير، سمع من على بن عمر الخراط وغيره. قال ابن الفوطى كان مدمنا للخمر وكان يقول ليس فى الدنيا راحة إلا فى شيئين كتاب وشراب، ثم تنسك واشتغل بأنواع الخير إلى أن توفى(٣).

---

(١) السمعانى: المصدر نفسه، جـ٣، ص١٠١.

(٢) الدبوسى: تأسيس النظر ومعه رسالة الإمام أبى الحسن الكرخى فى الأصول التى عليها مدار فروع الحنفية مع شواهد لأبى حفص عمر النسفى، مطبعة الإمام، القاهرة، ١٩٧٢، ص١٠٩. الذهبى: سير أعلام النبلاء، جـ٢٠، ص ١٢٦. ابن العماد: شذرات الذهب، جـ٤، ص١١٥. اللكنوى: المصدر نفسه، ص١٥٠، ١٤٩. النسفى: العقائد النسفية، تحقيق عبد الرءوف سعد، دار التوفيق النموذجية للطباعة، ص٩. قيس ال قيس: الإيرانيون و الأدب العربى، مج١، ص٢٩٤. محمد بن محمد الثعالبى الفاسى: الفكر السامى فى تاريخ الفقه الإسلامى، تعليق عبد العزيز بن عبد الفتاح القارى، مج٢، ١٩٧٧م، ص١٨١، ١٨٠.

(٣) الداودى: طبقات المفسرين، جـ٢، ص١٧٧. السيوطى: طبقات المفسرين، طهران،=

ومن كبار المفسرين إبراهيم بن يعقوب بن أبى نصر بن أبى النصر بن مدوسة الكشانى (ت٥٥٣هـ/ ١١٥٨م) سكن سمرقند، وتولى خطابتها نيابة عن محمود بن أحمد الساغرجى الملقب شيخ الإسلام وكان إماما بمسجد راعوم ببلخ، وكان الكشانى حسن السيرة، سمع بالكشانية أباه، وبسمرقند أبا إبراهيم إسحاق بن محمد الخطيب النوحى[١]. كما كان أبو المحامد محمود بن أحمد بن الفرج بن عبد العزيز الساغرجى السمرقندى (ت٥٥٥هـ / ١١٦٠م) إماما فاضلا بارعا، سمع بسمرقند من الحسن بن عطاء السغدى، وروى عنه عبد الرحيم بن السمعانى[٢].

ومن أئمة علماء التفسير أبو القاسم محمد بن يوسف بن محمد بن على العلوى الحسينى السمرقندى (ت٥٥٦هـ/ ١١٦١م) حج، وأقام فى عودته ببغداد مدة ومات بسمرقند وقيل قتل صبرا، وكان شديد النقد للعلماء والأئمة[٣]. وشيخ الإسلام الإمام برهان الدين أبو الحسن على ابن أبى بكر ابن عبد الجليل الفرغانى المرغينانى (ت٥٩٣هـ/ ١١٩٦م) من سلالة سيدنا أبى بكر الصديق نزيل سمرقند، كان جامعا للعلوم ضابطا للفنون، صنف فى التفسير[٤]. ومن بينهم شمس الدين محمد السمرقندى (ت٦٠٠هـ/

=١٩٦٠، ص٣٥. ابن الفوطى: تلخيص مجمع الآداب فى معجم الألقاب، جـ٤، قسم٢، ص١٠٨٨، ١٠٨٧. القرشى: الجواهر المضية، جـ٣، ص٢٠٩، ٢٠٨. ابن قطلوبغا: تاج التراجم، ص٥٦. عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، مج٣، ص٤٠٩.

(١) القرشى: المصدر نفسه، جـ٣، ص ١١٧، ١١٦. تقى الدين التميمى: الطبقات السنية، جـ١، ص٢٥٢.

(٢) الداودى: المصدر نفسه، جـ٢، ص٣٠٩. الذهبى: تاريخ الإسلام، جـ٣٨، ص٣٦٩، ٣٧٠.

(٣) الداودى: المصدر نفسه، جـ٢، ص ٢٩١، ٢٩٢. القرشى: المصدر نفسه، جـ٣، ص٤٠٩. الزركلى: الاعلام، جـ٧، ص١٤٩. عمر رضا كحالة: المرجع نفسه، مج٣، ص٧٨٩.

(٤) برهان الدين المرغينانى: الهداية شرح بداية المبتدى، تحقيق محمد تامر وحافظ عاشور، مج١، القاهرة، ٢٠٠٠، ص٨.

١٢٠٣م) صنف كتابا فى التفسير ومات قبل أن يتمه، فأتمه الشيخ أحمد بن محمود الفرغانى الأصم (ت٩٧١هـ/ ١٥٦٣م)[١]. ومحمد بن عثمان بن محمد حسام الدين العلياابادى السمرقندى (ت٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م) كان من أشهر علماء التفسير فى سمرقند له مصنفات قيمة منها " مطلع المعانى ومنبع المبانى فى تفسير القرآن فى مجلدات "[٢].

مجمل القول ازدانت مدن إقليم الصغد بالعديد من علماء التفسير البارزين الذين أسدوا للحضارة الإسلامية مؤلفات جليلة أدت إلى ازدهار علم التفسير فى أرجاء العالم الإسلامى وأثرت المكتبة الإسلامية بمصنفاتهم .وجدير بالذكر أن ننوه إلى أن معظم التفاسير التى وجدت فى مدن إقليم الصغد كانت تنتمى إلى التفسير المأثور ولا غرو فى ذلك لأن أصحاب هذه التفاسير كانوا من المحدثين الذين التزموا بالسند والرواية.

ثالثا: علم الحديث

الحديث فى اللغة يطلق على الجديد، ضد القديم، ويطلق على الخبر والقصص. وعند إطلاق لفظ الحديث ينصرف إلى حديث رسول الله ﷺ، وهو ما نقل عنه من قول أو فعل أو تقرير[٣]. والجمع أحاديث وهو شاذ على غير قياس. وقوله تعالى "وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ"[٤] أى بلغ ما أرسلت به، فالحديث والخبر فى اللغة مترادفان[٥]. وأطلق علماء الحديث على علم

---

(١) حاجى خليفه: كشف الظنون، جـ٢، ص٢٠٧٤.

(٢) إسماعيل باشا البغدادى: هدية العارفين، جـ٢، ص١١٢. عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، مج٣، ص٤٨٣.

(٣) أحمد شلبى: تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى، ص١٨٧. عبد المجيد محمود: المدرسة الفقهية للمحدثين مدخل لدراسة الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث، القاهرة، ١٩٧٢م، ص٢.

(٤) الضحى: آية١١.

(٥) محمد عجاج الخطيب: أصول الحديث علومه ومصطلحه، دار الفكر، لبنان، ١٩٦٧، ص٧.

الحديث دراية اسم مصطلح الحديث وأصول الحديث وكلها أسماء لمسمى واحد[١].

وعلم الحديث هو العلم الذى يقوم على نقل ما أضيف إلى النبى ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية نقلا دقيقا محررا. فموضوع علم الحديث رواية أقوال الرسول وأفعاله وتقريراته وصفاته، من حيث نقلها نقلا دقيقا، فهو يتناول ضبط كل حديث[٢]، وذلك بالبحث فى إسناد الحديث، وفحص أحوال الرواة[٣]. وتمكن علماء المسلمين من تقسيم الأحاديث بحسب متونها من ناحية، وبحسب أسانيدها من ناحية أخرى فقسمت الأحاديث إلى حديث صحيح وحسن وضعيف[٤]. ويعتبر أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى (ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) أول من قسم الحديث إلى صحيح وحسن وضعيف[٥].

عنى المسلمون بالحديث عناية عظيمة بما وضعوا من قوانين بينت المعل من السليم، والضعيف من الصحيح والموقوف من المرفوع والمقبول من المردود، فعليه يقوم استنباط الأحكام من السنة الطاهرة وبواسطته يتم حسن الاقتداء بالرسول ﷺ[٦]. ويقول السمعانى: "علم الحديث أشرف العلوم بعد العلم بكتاب الله سبحانه وتعالى، إذ الأحكام مبنية عليها ومستنبطة منها"[٧]. والله سبحانه وتعالى شرف رسولنا الكريم حيث يقول "وَمَا يَنطِقُ

---

(١) محمد عجاج الخطيب: المرجع نفسه، ص٩

(٢) محمد عجاج الخطيب: المرجع نفسه، ص٧.

(٣) السمعانى: أدب الإملاء والاستملاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨١، ص٣.
محمد عادل عبد العزيز: الحضارة الإسلامية، ص١٧٢.

(٤) محمد عجاج الخطيب أصول الحديث علومه ومصطلحه، ص٩,

(٥) ابن تيمية: علم الحديث، تحقيق موسى محمد على، بيروت، ١٩٨٤، ص٨١.

(٦) محمد عجاج الخطيب: المرجع نفسه، ص٩.

(٧) السمعانى: أدب الإملاء والاستملاء، ص٣.

عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى"[1]. ويقول عز وجل "وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ"[2]. ويقول عز من قال "مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا"[3].

وصنف المشتغلون بعلوم الحديث وفق حفظهم وإتقانهم:

* طالب الحديث: وهو من شرع فى طلب الحديث .

* المسند: هو من يروى الحديث بسنده سواء أكان عنده علم به أم ليس له إلا مجرد الرواية .

* المحدث: وهو من يشتغل بعلم الحديث رواية ودراية ويعرف الأسانيد والعلل وأسماء الرجال، ويعرف علومه واصطلاحات أهله والمؤتلف والمختلف من رواته ويحفظ كثيراً من المتون[4].

* الحافظ: هو أرفع درجة من المحدث بحيث يكون ما يعرفه فى كل طبقة أكثر مما يجهله، ويحيط بما أجمع عليه العلماء وما اختلفوا عليه، وهذه الرتبة لا تطلق إلا على من تبحر فى هذا العلم وأوتى سعة وبسطة فى معرفته وتفهيمه والوقوف على دقائقه حتى ذكر الخطيب البغدادى، أنه أعلى صفات المحدثين وأسمى درجات الناقلين، من وجدت فيه قبلت أقاويله وسلم له

---

(١) النجم: آية ٤ .

(٢) الحشر: آية ٧

(٣) النساء: آية ٨٠

(٤) السيوطى: تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، جـ١، ط٢، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٦، ص٤٣ . الطحان محمود: تيسير مصطلح الحديث، ط٨، دار المعارف، الرياض، ١٩٨٧، ص١٧ . محمد عجاج الخطيب: المرجع نفسه، ص٤٤٦ .

تصحيح الحديث وتعليله، غير أن المستحقين لها يقل معدودهم ويعز بل يتعذر وجودهم[١].

* الحاكم: وهو من أحاط بجميع الأحاديث المروية متنا وإسنادا، وجرحًا وتعديلا وتاريخا[٢].

* أمير المؤمنين فى الحديث وهو يطلق على من اشتهر فى عصره بالحفظ والدراية، حتى أصبح من أعلام عصره وأئمته[٣].

زخرت مدن الصغد بعدد لا يحصى من رجال الحديث الذين أفنوا أعمارهم فى جمعه وتصنيفه وضبطه وتنقيحه فخدموا العلم بجدهم وصبرهم على البحث.

ومن كبار أئمة الحديث بسمرقند الحافظ المستغفرى أبو العباس جعفر بن محمد بن المعتز ابن المستغفر السمرقندى (ت٤٣٢هـ/ ١٠٤٠م) خطيب نسف، لم يكن ببلاد ما وراء النهر فى عصره مثله، كان فقيها محدثا فاضلا حافظا صدوقا، له مصنفات كثيرة، منها كتاب الزيادات فى كتاب المؤتلف والمختلف، وكتاب معرفة الصحابة[٤]. وأبو الحسن العربى على ابن إبراهيم ابن نصرويه بن سختام بن هرثمة بن إسحاق بن عبد الله بن إبراهيم أسكر بن

---

(١) منيرة ناجى سالم: تاج الإسلام أبو سعد السمعانى وكتابه التحبير فى المعجم الكبير، ص٣٢١.

(٢) السيوطى: تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى، ص٤٣. الطحان محمود: تيسير مصطلح الحديث، ص١٧. منيرة ناجى سالم: المرجع نفسه، ص٣٢١، ٣٢٢.

(٣) محمد عجاج الخطيب: أصول الحديث علومه ومصطلحه، ص٤٤٧.

(٤) جمال الدين الظاهرى الحنفى: مشيخة ابن البخارى، تحقيق عوض عتقى سعد الحازمى، جـ٣، السعودية، ١٩٩٩، ص١٧٩٥. السمعانى: التحبير فى المعجم الكبير، جـ٢، ص ١٤٧. ابن قطلوبغا: تاج التراجم، ص٧٨، ٧٧. ابن ماكولا: الإكمال فى رفع الارتياب، تحقيق عبد القيوم عبد رب النبى، جـ١، ص٧.

كاك العربى السمرقندى (ت٤٣٩هـ/ ١٠٤٧م) كان من أشهر علماء الحديث، له رحلة واسعة إلى بلدان العالم الإسلامى، فقدم بغداد حاجا وحدث بها عن محمد بن أحمد بن مت الاشتيخنى، وإبراهيم بن محمد بن عبد الله بن يزداذ الرازى، ولم يقض له الحج فرجع يريد خراسان، أدركه أجله فى الطريق(١).

ويعد القاضى أبو نصر أحمد بن محمد بن حميد بن عبد الله بن الأشعث الكشانى (ت٤٤٣هـ/ ١٠٥١م) من أبرز المحدثين، ورد سمرقند، وحدث بها فى الدار الجوزجانية عن أبى بكر أحمد بن محمد بن إسماعيل البخارى، روى عنه أبو محمد إسحاق بن عمر الخطيب النوحى، وكان حاد البصر يطالع الخط بالليل بنور القمر(٢). كما كان أبو صالح محمد بن أبى عدى بن الفضل السمرقندى (ت٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م) من أشهر المحدثين، روى عن القاضى أبى الحسن الحلبى، وأحمد بن محمد بن السمناوى، روى عنه الرازى فى مشيخته(٣).

ومن أئمة علماء الحديث أبو الحسن على بن أحمد بن الربيع السنكباثى (٤٥٢هـ/ ١٠٦٠م) حدث بسمرقند عن عبد الرحمن بن محمد الإدريسى وعن أبيه أحمد بن الربيع، روى عنه أبو القاسم عبد الله بن عمر الكشانى الخطيب وغيره، وكان أحد الأئمة والزهاد المشهورين بسمرقند(٤). كما يعد الشيخ المسند الكبير أبو على الحسين بن أبى زيد الدباغ منصور الصغدى

---

(١) البغدادى: تاريخ بغداد، جـ١١، ص٣٤٢. الذهبى: المشتبه فى الرجال، جـ١، ص٢٤٢.

(٢) الذهبى: تاريخ الإسلام، جـ٣٠، ص٨٨، ٨٧. السمعانى: الأنساب، جـ٥، ص٧٣

(٣) الذهبى: المصدر نفسه، جـ٣٠، ص١٠٥.

(٤) ابن الأثير: اللباب فى تهذيب الأنساب، جـ٢، ص١٤٨. ابن نقطة: تكملة الإكمال، جـ٣، ص٥٤٣.

(ت٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م) من كبار علماء الحديث، سمع سفيان بن عيينة وأبا معاوية وآخرين، روى عنه الباغندى، وكان من الثقات[١].

ومن أشهر علماء الحديث أبو حفص عمر بن أحمد بن محمد بن حسن ابن شاهين السمرقندى (ت٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م) مسند تلك الديار عنده حديث عتيبه بعلو سمعه من ابن جابر بسماعه من محمد بن الفضل البلخى، كان واسع الرحلة سمع بسمرقند أبا بكر بن جعفر بن جابر، وأبا على إسماعيل ابن حاجب الكشانى، قال السمعانى: "روى عنه أهل سمرقند وله أوقاف كثيرة"[٢]. وأبو الوليد الحسن بن محمد بن على بن محمد الحافظ البلخى الدربندى (ت٤٥٧هـ / ١٠٦٤م) كان من علماء الحديث البارزين واسع الرحلة، صدوق، سكن سمرقند، روى عن أبى عبد الله محمد بن أحمد وأبى عيسى بن شاذان، وأبى القاسم الحرفى، وخلق كثير، وروى عنه أبو بكر الخطيب، وعبد العزيز الكتانى وأبو على الحداد، وآخرون[٣].

كذلك كان الحافظ أبو الليث أحمد بن جعفر بن مدنى بن عيسى بن عدنان بن محمود النسفى (ت٤٦٢هـ/ ١٠٦٩م) الملقب شعبة خنن الإمام جعفر المستغفرى، وهو الذى لقبه بشعبة لما رأى من حذقه وحفظه لعلم الحديث وأعجبه، سمع وهو شاب بسمرقند وحدث بها وهو شيخ كبير[٤].

ومن كبار المحدثين الخطيب أبو نصر أحمد بن أبى بكر محمد يعرف بتيارك بن أبى عبيد أحمد بن عروة بن أحمد بن إبراهيم الخديمنكى الكرمينى

---

(١) ابن الجوزى: المنتظم، جـ٨، ص ٢٢٨.

(٢) الذهبى: سير أعلام النبلاء، جـ١٨، ص١٢٧. السمعانى: المصدر نفسه، جـ٣، ص٣٩٠.

(٣) الذهبى: تاريخ الإسلام، جـ٣٠، ص٣٩٤، ٣٩٣.

(٤) ابن العماد: شذرات الذهب، جـ٣، ص٣١١.

(ت٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م) قال السمعانى: سمع صحيح البخارى، وحدثنا عنه مشايخنا، وانتخب السمعانى شيئا من سماعه من ابنه من كتاب الرقاق لمحمد بن إسماعيل، ولما دخل السمعانى مدينة كرمينية، قرأ عليه الصحيح للبخارى بسماعه عن الورقودى[١]. وأبو محمد عبد الله بن أبى بكر بن عبد الله الغازى الكدكى (ت٤٧١هـ/ ١٠٧٨م) من أهل سمرقند صهر الإمام عمر القراء، روى عن أبى طاهر محمد بن على بن محمد بن بويه البخارى الحافظ، روى عنه أبو حفص عمر أبى بكر القراء[٢]. وأبو رجاء قتيبة بن محمد بن محمد بن أحمد بن عثمان بن عبد الله النسفى الحافظ (ت٤٧٤هـ/ ١٠٨١م)، نافلة أبى العباس المستغفرى، سمع الكثير بسمرقند، وأملى بها، روى عنه المستغفرى وعبد الملك بن القاسم وعمر بن محمد النسفى[٣]. كذلك كان أحمد بن محمد ابن الفضل الإمام أبو بكر الفسوى (ت٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م) من كبار علماء الحديث، رحل إلى العديد من البلدان الإسلامية فدخل نيسابور وقرأ الأصول على الإمام القشيرى، وأقام بنيسابور مدة، ثم خرج إلى بلاد ما وراء النهر وسكن سمرقند إلى أن توفى، وصار من أعيان الأئمة وذاع صيته وانتشر علمه[٤].

كما يعد القاضى الخطيب أبو الفتح ميمون بن طاهر بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن حاجب الكشانى الحاجبى (٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م) من كبار المحدثين، حدث عن أبيه أبى أحمد، روى عنه أبو القاسم عبيد الله بن عمر الكشانى[٥]. ومن بينهم أبو محمد إسماعيل بن محمد ابن إبراهيم بن محمد

---

(١) الذهبى: تاريخ الإسلام، جـ٣٠، ص٢٢٣. السمعانى: الأنساب، جـ٢، ص٣٣٢.

(٢) ابن الأثير: اللباب فى تهذيب الأنساب، جـ٣، ص٨٦.

(٣) الذهبى: المصدر نفسه، جـ٣٢، ص١٢٦.

(٤) الذهبى: المصدر نفسه، جـ٣٢، ص ١٤٨.

(٥) ابن الأثير: المصدر نفسه، جـ١، ص٣٢٧.

بن نوح بن زيد بن نعمان بن عبد الله بن الحسن بن زيد بن نوح النسفى الإمام الخطيب (ت٤٨١هـ/١٠٨٨م) كان من أبرز علماء الحديث، من أهل نسف، ولد بسمرقند، سمع أبا العباس المستغفرى، روى عنه أبو حفص عمر النسفى كتب الحديث[١].

وكان أحمد بن سليمان بن نصر بن حاتم بن الحسن الكاسانى (ت٤٨٢هـ/١٠٨٩م) قاضى القضاة زمن الخاقان أبى شجاع الخضر بن إبراهيم، حدث وأملى بسمرقند، ولم يكن محمود السيرة فى ولايته، روى عنه أبو المعالى نصر بن منصور المدينى الخطيب بسمرقند، وصار وزيرا فى عهد أحمد بن الخضر واستشهد فى أول عهده[٢]. والشيخ الإمام الحافظ المصنف الثقة أبو الفتح محمد بن أحمد بن عبد الله بن سمكويه الأصبهانى (ت٤٨٢هـ /١٠٨٩م) نزيل هراة، كان من فرسان الحديث والمكثرين منه، رحل فى طلب الحديث فسمع ببغداد من أبى محمد الخلال وطبقته، وبسمرقند من مسندها عمر بن شاهين[٣].

وكان على بن محمد بن عبد الكريم بن موسى البزدوى (ت٤٨٢هـ/١٠٨٩م) الإمام الكبير الجامع بين أشتات العلوم إمام الدنيا، نزيل سمرقند، من المحدثين الكبار له تصانيف كثيرة منها "شرح الجامع الصحيح للبخارى"[٤]. ومنهم أبو الحسن بن مفوز طاهر بن أحمد بن مفوز المعافرى الشاطبى (ت٤٨٤هـ/١٠٩١م) نزيل سمرقند، تلميذ أبى عمر بن عبد البر

---

(١) القرشى: الجواهر المضية، جـ١، ص ٣٩٢، ٣٩٣.

(٢) القرشى: الجواهر المضية، جـ١، ص١٧٢، ١٧١. الغزى: الطبقات السنية فى تراجم الحنفية، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، جـ٣، الرياض، ١٩٨٣، ص٣٥٩، ٣٥٨.

(٣) الذهبى: سير أعلام النبلاء، جـ١٩، ص١٧، ١٦.

(٤) الزركشى: تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكى، ص٢٠١. اللكنوى: الفوائد البهية، ص١٢٥.

وكان من أثبت الناس وأنقلهم عنه، وسمع من أبى الفتح السنكتى السمرقندى وطبقته موصوفا بالذكاء وسعة العلم، اشتهر بحفظ الحديث وإتقانه، وكان كثير الضبط[1].

كما كان الحافظ أبو طاهر بن دات عبد الرحمن بن أحمد بن علك بن دات الساوى (ت٤٨٤هـ/ ١٠٩١م) أحد الأئمة بأصبهان، حمل إلى سمرقند فتفقه بها وصحب عبد العزيز النخشبى وأخذ عنه علم الحديث، سمع أبا الربيع طاهر بن عبد الله الايلاقى، وأحمد بن منصور المغربى النيسابورى، وأبا الحسين النقور وغيرهم، روى عنه إسماعيل بن محمد السمرقندى ومحمد بن على الاسفراينى[2].

ومن أشهر المحدثين أبو الليث وأبو الفتح نصر بن الحسن الشاشى التنكتى (ت٤٨٦هـ / ١٠٩٣م) المقيم بسمرقند، رحل إلى عدد كبير من البلاد الإسلامية، روى عن عبد الغافر بن محمد العدل صحيح مسلم، وعن أبى بكر أحمد بن ثابت الخطيب، وسمع ببلنسيه من أبى العباس العذرى، وقدم أبو الفتح الأندلس تاجرا، وقال: الكنية التى كنانى بها أبى أبو الليث، فلما قدمت مصر كنانى أهلها أبى الفتح حتى غلبت على بمصر، قال: فلهذا سميت بهاتين الكنيتين، وحدث وروى عنه جماعة[3]. كذلك كان الإمام الحافظ المحدث أبو على الحسن بن عبد الملك بن على بن موسى بن إسرافيل

---

(١) الذهبى: تذكرة الحفاظ، جـ٤، ص١٢٢٢.

(٢) السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، جـ٥، ص١٠١. ابن العماد: شذرات الذهب، جـ٣، ص٣٧٢. النسفى: القند فى ذكر علماء سمرقند، ص٣٦٤.

(٣) ابن الأثير: اللباب فى تهذيب الأنساب، جـ١، ص٢٢٤. ابن بشكوال: الصلة، جـ٢، ص٦٠١، ٦٠٢. الذهبى: العبر، جـ٢، ص٣٥٣. الصفدى: الوافى بالوفيات، جـ٢٧، ص٥٩. أبو عبد الله الدمشقى: طبقات علماء الحديث، جـ٣، ص٣٩١. ابن العماد: شذرات الذهب، جـ٣، ص٣٧٩. اليافعى: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، جـ٣، ص١٤٢.

النسفى (٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) من أشهر المحدثين، سكن سمرقند، وسمع الكثير من الحافظ جعفر بن محمد المستغفرى ولازمه فى رحلته، وروى الكثير ببخارى وسمرقند(١).

ويعد أبو محمد الحسن بن أحمد بن محمد بن القاسم بن جعفر السمرقندى القاسمى (ت٤٩١هـ/ ١٠٩٧م)، إمام زمانه فى الحديث، دأب على درس العلوم إلى أن وصل إلى درجة مرموقة وخاصة فى الحديث، وكان عديم النظير فى حفظه ولزومه طريقة السلف فى سيرته ومعيشته، سمع مشايخ عصره وأكثر عن الإمام أبى العباس المستغفرى، وقرأ صحيح مسلم عن الشيخ أبى الحسن عبد الغفار أكثر من ثلاثين مرة صباحًا ومساءً، وخرج على المشايخ الفوائد والأمالى وصنف الأبواب وروى من الغرائب والأحاديث التى حصلها وجمعها وصنف كتاب" بحر الأسانيد فى صحاح المسانيد" جمع فيه مائة ألف حديث فى ثمانمائة جزء، وأتى فيها بطرق الأحاديث على اختلافها وتباين وجوهها ورواياتها، حقا لم يقع فى الدولة الإسلامية مثله(٢).

ومن كبار علماء الحديث أبو المعالى محمد بن محمد بن زيد بن على العلوى الحسينى البغدادى السمرقندى (ت٤٩٢هـ/ ١٠٩٨م) كان من أشهر علماء الحديث، نزيل سمرقند صنف وجمع، وكان كبير القدر، كثير الأموال يرجع إلى عقل ورأى وعلم وافر، وهو أفضل علوى فى عصره، تتلمذ على

---

(١) الذهبى: سير أعلام النبلاء، جـ١٩، ص١٤٣.

(٢) أبو عبد الله الدمشقى: المصدر نفسه، جـ٣، ص٤٢٣، ٤٢٢. ابن العماد: المصدر نفسه، جـ٣، ص٣٩٤. النسفى: القند فى ذكر علماء سمرقند، ص٧٠٣، ٧٠٢. الزركلى: ترتيب الأعلام على الأعوام، مج١، ص٣٤٨. عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، مج١، ص٥٣٧. قيس آل قيس: الإيرانيون والأدب العربى رجال علم الحديث، مج٢، ص٥٣٥. ناجى معروف: علماء النظاميات، ص٥٢.

الخطيب ولازمه، ورزق حسن التصنيف، وأملى ببغداد وحدث بأصبهان وحدث وأملى بسمرقند، وكان من الأغنياء ينفذ في العام إلى جماعة عشرة آلاف دينار، ويقول هذه زكاة مالي[1]. ونصر بن إبراهيم السلطان شمس الملك (ت٤٩٢هـ/١٠٩٨م) صاحب ما وراء النهر من أفاضل الملوك، حدث وأملى وخطب على منبرى بخارى وسمرقند[2]. وأبو بكر محمد بن أحمد ابن ماناز بن أميرك بن شاه بن نصر بن الشعبى بن سمعان النسفى الكبندوى (ت٤٩٣هـ/١٠٩٩م) نزيل سمرقند، قال السمعانى: شاب حريص على طلب العلم، سمع بسمرقند الكثير من الأحاديث، واسمع، ووعظ مدة فى محلة نهر القصارين، وسمع كتاب الجامع الصحيح لعمر بن محمد البجيرى، من أبى نصر بن الجبار البلدى وغيره بنسف[3].

ويعد أبو نصر أحمد بن المهذب بن يعلى بن مسلم بن سعيد بن الخطاب الكشانى (ت٤٩٣هـ/١٠٩٩م) من أشهر المحدثين، حدث عن نصر بن محمد الغنجيرى، روى عنه ابنه الإمام أبو الورع عبيد الله بن أحمد الكشانى[4]. وأبو اليسر محمد بن محمد بن الحسين ابن عبد الكريم المحدث البزدوى (٤٩٣هـ/١٠٩٩م) كان إمام الأئمة على الإطلاق والموفود إليه من الأفاق ملأ

---

(١) الذهبى: تذكرة الحفاظ، جـ٤، ص ١٢٠٩: ١٢١٠. الذهبى: سير أعلام النبلاء، جـ١٨، ص٥٢١، ٥٢٠. السيوطى: طبقات الحفاظ، تحقيق على محمد عمر، القاهرة، ١٩٧٣، ص٤٤٥. الصفدى: الوافى بالوفيات، جـ١، ص١٣٤. أبو عبد الله الدمشقى: طبقات علماء الحديث، جـ٣، ص٤٠٢400:. ابن العديم: بغية الطلب فى تاريخ حلب، جـ٧، ص٣٢٩٧. ابن الفوطى: مجمع الآداب، مج٥، ص١٨٨. اليافعى: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، جـ٣، ص١٣٢.

(٢) الزركلى: ترتيب الأعلام على الأعوام، مج١، ص٣٤٨.

(٣) السمعانى: الأنساب، جـ٥، ص٢٨، ٢٧. النسفى: القند فى ذكر علماء سمرقند، ص١٠٤

(٤) السمعانى: المصدر نفسه، جـ٥، ص٧٣.

الكون بتصانيفه وولى قضاء سمرقند، وأملى الحديث بها[1]. ومنهم الحاكم أبو الفوارس عبد الملك بن محمد بن زكريا بن يحيى بن بكر بن حبيب النسفى (ت٤٩٥هـ / ١١٠١م) سكن سمرقند، سمع القاضى أبا نصر أحمد ابن محمد بن أبى نصر البلدى، روى عنه عمر بن محمد النسفى[2].

كما كان القاضى أحمد بن الحسين بن يوسف الخرقانى السمرقندى (ت٤٩٩هـ/ ١١٠٥م) من أبرز المحدثين، يعرف بماه اندرجيه بمعنى القمر فى الجبة، كان واعظا، سمع الحديث من السيد أبى الحسن محمد بن محمد بن زيد الحسينى العلوى، روى عنه عمر بن محمد النسفى[3]. وكان أبو عبد الله محمد بن أبى الوفاء محمد بن القاسم السمرقندى (ت٥٠٠هـ /١١٠٦م) من كبار علماء الحديث، يعرف بقوت القلوب، سكن دمشق وسمع بها، عبد العزيز ابن أحمد بن الكتانى، حدث عنه أبو الفتيان عمر بن عبد الكريم الدهستانى، كانت له حلقة بالجامع الأموى بدمشق للرواية والتأديب[4]. والإمام الخطيب أبو القاسم عبيد الله بن عمر بن محمد بن أحيد الكشانى (ت٥٠٢هـ/ ١١٠٨م) كان ثقة مكثر مسند، حدث عن محمد بن الحسن الباهلى، وعلى بن أحمد بن ربيع السنكباثى، وحدث عنه إبراهيم بن يعقوب الكشانى، وكان أحد الأئمة الزهاد المشهورين بسمرقند[5].

ومن أئمة علماء الحديث أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن أبى النضر البلدى الإمام المحدث المشهور (ت٥٠٤هـ/ ١١١٠م) من أهل نسف، نزيل سمرقند، كان فاضلا، من أولاد الأئمة والمحدثين، رحل إلى العديد من

---

(١) اللكنوى: الفوائد البهية، ص١٢٥.

(٢) السمعانى: المصدر نفسه، جـ٣، ص١٧٢.

(٣) السمعانى: المصدر نفسه، جـ٢، ص٣٤٨.

(٤) ابن الفوطى: مجمع الآداب، مج٣، ص٥٧١، ٥٧٠.

(٥) الذهبى: سير أعلام النبلاء، جـ١٩، ص٢٦٨.

البلاد سمع أبـا العباس المستغـفرى، وابنه أبا ذر محمـد ابن جعفر وجـماعة أخرى، روى عنه أكثر من عشرين شخصا ببخارى وسمرقند، وحدث بالكتب الكبار مثل الجامع الصحيح لأبى حفص عمر بن محمد البجيرى[١].

أما أبو طاهر عـبد الواحد بن أحـمد بن عمـر بن أبى الأشعث بن أبى بكر السمرقندى (٥٠٥هـ/ ١١١١م)، أخو عبد الله وإسماعيل، فكان من كبار المحدثين ولد بدمـشق وسمع بها من أبى الحسـين محمد بن مكى بن غـثمان الأزدى وأبا الحـسن بن عـبـد الواحـد بن مـحـمـد بن أبى الحـديد السلمى وغيرهـما، قدم بغداد مع أخـوته فسمع بها أبا مـحمد الصريفـينى، وحدث باليسير، سمع منه أبو نصر المعمر بن محمد الأنماطى[٢].

ومنهم أبو نصـر أحـمـد بن أحـمـد المسـتـوفى الذخكثى (ت٥٠٦هـ/ ١١١٢م) كان من أبرز المحدثين سكن سمـرقند، وحدث بها عن الشريف أبى نصر محـمـد بن محمـد الزينى البغدادى، روى عنه أبو حفص عـمر النسفى الحافظ[٣]. والقاضـى أبو على الحسن بن مـحمد بـن جعفـر ابن يوسف بن عاصم بن أحـمد الفقـاعى السمرقـندى (ت٥٠٧هـ/ ١١١٣م) حدث عن أبى نصر أحـمد بن إسمـاعيل الكسبـوى، روى عنه أبو حفص عـمر بن محـمد النسفى[٤]. كذلك كـان الإمام أبو بكر محمـد بن أبى حنيفة بن عـمران بن على بن عبـد الكريم الاشروسنى (ت٥٠٨هـ / ١١١٤م) من كبـار المحدثين، سكن سمرقند فى محلة درب غذاوذ، روى عن القاضى عبد الرحمن بن عبد

---

(١) السمعانى: الأنساب، جـ١، ص٣٩٠.

(٢) الذهبى: تاريخ الإسـلام، جـ٣٥، ص١٠٨. ابن النجار البـغدادى: ذيل تاريخ بـغداد، جـ١، تصحيح قيصر فرح، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٢٠٣، ٢٠٤.

(٣) ابن الأثير: اللبـاب فى تهذيب الأنسـاب، جـ١، ص٥٢٩. السمعـانى: المصدر نفـسه، جـ٣، ص٨.

(٤) السمعانى: المصدر نفسه، جـ٤، ص٣٩٥.

الرحيم القصار الحافظ[1]. وكان أبو سهل العتابى (ت٥١٠هـ/١١١٦م) نزيل سمرقند من علماء الحديث، روى عنه أبو أحمد بن أبى سهل العتابى، قال السمعانى: حدثنا عنه مشايخنا والكهول ببخارى وسمرقند[2]. والإمام أبو بكر محمد بن عبد المنعم بن الحسن ابن الحسين بن أنس السمرقندى (ت٥١٠هـ / ١١١٦م) كان من المحدثين، من أصحاب السيد أبى شجاع، روى عن أبى عمارة بن أحمد، وروى عنه أبو حفص عمر النسفى[3]. ومن بينهم الحاكم الإمام أبو الحسن على بن عالم بن بكر الفاغى السمرقندى الصكاك (ت٥١١هـ / ١١١٧م)، روى عن أبى الحسن على بن أحمد بن سامع السنكبائى، وروى عنه أبو حفص عمر بن أحمد النسفى[4].

كما يعد أبو حفص عمر بن أحمد بن محمد بن شبيب الديزكى السمرقندى (ت٥١١هـ / ١١١٧م) من كبار علماء الحديث، روى عن أبى حفص عمر بن أحمد بن محمد بن شاهين، وروى عنه أبو حفص عمر بن محمد النسفى[5]. والإمام أبو عمرو عثمان بن عمر بن الحسين بن على بن عمرو القطوانى السمرقندى (ت٥١٣هـ/ ١١١٩م) روى عن أبى العباس جعفر ابن محمد المعتز السمرقندى، وروى عنه أبو حفص عمر النسفى[6].

ومن أشهر علماء الحديث أبو محمد عبد الجبار بن أحمد بن نصر بن الحسين القاضى المدينى المقاتلى (ت٥١٤هـ/ ١١٢٠م) سكن سمرقند وهو إمام فاضل سمع عمر بن شاهين، روى عنه أبو حفص عمر بن محمد

---

(١) ابن الأثير: اللباب فى تهذيب الأنساب، جـ٢، ص ٤٢. السمعانى: الأنساب، جـ٣، ص١٠٢.

(٢) السمعانى: المصدر نفسه، جـ٤، ص١٤٧.

(٣) السمعانى: المصدر نفسه، جـ٣، ص٨٦.

(٤) ابن الأثير: المصدر نفسه، جـ٢، ص٦٥. السمعانى: المصدر نفسه، جـ٤، ص٣٤١.

(٥) السمعانى: المصدر نفسه، جـ٢، ص٥٢٦.

(٦) السمعانى: المصدر نفسه، جـ٤، ص٥٢٦.

النسفى[1]. والقاضى أبو المنور بدر بن زياد بن عبد الله ابن محمد بن محمد ابن الخجندى (٥١٤هـ/ ١١٢٠م) سكن سمرقند وحدث بها عن أبى حفص عمر بن منصور بن خنب الحافظ، وروى عنه عمر بن محمد النسفى[2]. كما كان القاضى محمد بن طاهر بن عبد الرحمن بن الحسن بن محمد السعيدى السمرقندى اللبادى (ت٥١٥هـ / ١١٢١م) من علماء الحديث المشهورين، روى عن أستاذه أبى اليسر محمد بن محمد بن الحسين البزدوى[3]. وأبو القاسم على بن أحمد بن الحسن الصيرفى الفارسى (ت٥١٥هـ / ١١٢١م) سكن سمرقند إلى حين وفاته، وكان شيخا ثقة صدوقا سمع عثمان بن أبى سعيد العيار الصوفى، وأبا بكر أحمد بن منصور بن خلف المغربى وغيرهما، روى عنه أبو شجاع عمر محمد بن عبد الله البسطامى[4]. وكان الحافظ أبو محمد عبد الله بن أبى الأشعث السمرقندى (ت٥١٦هـ / ١١٢٢م) أخو إسماعيل من أئمة المحدثين ولد بدمشق، وسمع بها من أبى بكر الخطيب[5] وابن طلاب، وببغداد من أبى الحسين بن النقور، وحدث عنه السلفى، وله الرحلة الواسعة، دخل نيسابور واصبهان وعنى بالحديث وله مصنفات كثيرة، وكان ذا فهم ودراية مع الإتقان والتحرى، وكان يقرا لنظام الملك ويفيده، وخرج لنفسه معجما فى مجلد، وكان من الثقات النقاد[6].

---

(١) ابن الأثير: المصدر نفسه، جـ٣، ص٢٤٥. السمعانى: المصدر نفسه، جـ٥، ص٣٦٠.

(٢) السمعانى: المصدر نفسه، جـ٢، ص٣٢٨

(٣) ابن الأثير: اللباب فى تهذيب الأنساب، جـ٣، ص١٢٦. الذهبى: المشتبه فى الرجال، جـ٢، ص٥٥٧. السمعانى: الأنساب، جـ٥، ص١٢٥.

(٤) السمعانى: المصدر نفسه، جـ٣، ص٥٧٤.

(٥) أبو بكر أحمد بن على بن ثابت البغدادى المشهور بالخطيب له كتاب المؤتنف فى تكملة المؤتلف والمختلف، أكمل به كتب عبد الغنى والدارقطنى، وله كتاب المتفق والمفترق. ابن ماكولا: الإكمال فى رفع الارتياب، جـ١، ص٧.

(٦) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ٩، ص٢١٨. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٥، ص٢٢٣. الذهبى: سير أعلام النبلاء، جـ١٩، ص٤٦٦، ٤٦٥. الصالحى:=

وأبو محمد عبد الرحمن بن يحيى بن يونس الجلكى الخطيب (ت٥١٦هـ/ ١١٢٢م) من أشهر المحدثين، تولى الخطابة بسمرقند أيام قدرخان، روى عن أبى القاسم عبيد الله بن عمر الخطيب، روى عنه أبو حفص عمر النسفى[١]. وأبو المظفر بهرام بن حمزة بن المبارك المرغينانى (ت٥١٦هـ/ ١١٢٢م) نزيل سمرقند، وقال فى معجمه: إنه سمع كتاب الصلاة وكتاب المناجاة وكتاب الفكر والصبر وكلها للحافظ أبى عبد الله الحسين بن الحسن بن خلف الكاشغرى[٢]. كما كان الإمام أبو بكر محمد بن عثمان بن أبى بكر بن نصر السمرقندى الدباس أمير الحاج (ت٥١٧هـ/ ١١٢٣م) من علماء الحديث، حج بأهل سمرقند مرات، روى عنه أبو الحسين بن النقور، وحدث عنه عمر بن محمد النسفى[٣]. وكان الإمام الخطيب أبو محمد إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن محمد بن نوح بن زيد بن نعمان بن عبد الله بن الحسن بن زيد بن نوح النوحى النسفى (ت٥١٩هـ/ ١١٢٥م)من كبار علماء الحديث، ولد بسمرقند، وسمع أبا العباس جعفر بن محمد المستغفرى، روى عنه أبو حفص عمر النسفى، وكتب الحديث بسمرقند[٤].

=طبقات علماء الحديث، جـ٤، ص٣٦. الصريفينى: تاريخ نيسابور المنتخب من السياق، ص٤٥٦. ابن العماد: شذرات الذهب، جـ٤، ص٤٩. عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، مج٢، ص٢٢٦.

(١) ابن الأثير: اللباب فى تهذيب الأنساب، جـ١، ص ٢٨٦. السمعانى: المصدر نفسه، جـ٢، ص٧٢.

(٢) العسقلانى: لسان الميزان، جـ٢، ط٣، بيروت، ١٩٨٦م، ص٦٥. النسفى: القند فى ذكر علماء سمرقند، ص١١٠.

(٣) الذهبى: تاريخ الإسلام، جـ٣٥، ص ٤١٧، ٤١٨.

(٤) النسفى: القند فى ذكر علماء سمرقند، ص٥٩. الغزى: الطبقات السنية فى تراجم الحنفية، جـ٢، ص١٧٧.

كما كان الإمام على بن أبى الطيب بـن عبد الله بن أبى حفص المباركى السـمرقنـدى (ت٥٢٠هـ/١١٢٦م) من أشهـر المحـدثين، روى عن أبى على الحسين بن سلمـان بن محمد البلخى، روى عنه عمر بن مـحمد النسفى[١]. والمحدث مـسعـود بن الحسـين بن الحسـين بن محـمد بن إبراهيم الكشـانى (ت٥٢٠هـ/١١٢٦م) وهو والد أبـى سـعـد ركن الدين الخـطيب، روى عن الشيـخ سيف الدين أبى مـحمـد عبد اللـه بن على الكندى، وروى عنه ابنه محـمد الكشانى، ومحـمود بن أحمـد بن الفرج الساغرجى والإمـام الصدر الشهيد حسام الدين[٢].

ومن بينهم أبو على الحسن بن على بن أبى القاسم اللامشى السمرقندى الحنفى (ت٥٢٢هـ/١١٢٨م) قال السمعانى: إمام فاضل مناظر سمع الحديث من القاضى أبى محمـد عبد الرحمن بن عبد الرحـيم القصار، والقاضى أبى بكر محـمد بن الحـسن النسفى، وسـمع منه السمـعانى، وكان علـى طريقة السلف من طرح التكلف والقول بالحق أرسله خاقـان سمرقند برسالة إلى دار الخـلافة، فـقـيل لـه: لو حـججت ورجـعت، قـال: لا أجعـل الحج تبعـا لرسالتهم[٣]. والحافظ أبو على الحـسن بن على بن محمـد المفتى القطوانى السمـرقندى (٥٢٢هـ/١١٢٨م) روى عن أبى القاسم حـمزة بن محـمد[٤]. وكان أبـو بكر عمـر بن محـمد بن أحمـد بن الحسـين بن عـبد الله الخـباز

---

(١) ابن الأثير: اللبـاب فى تهذيب الأنسـاب، جـ٢، ص٤٧. السمعـانى: الأنساب، جـ٣، ص١١٤.

(٢) طاش كبرى زاده: طبقات الفقـهاء، ص٨٣. القرشى: الجواهر المضية، جـ٣، ص٤٦٥، ٤٦٦.

(٣) ابن تغـرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ ٥، ص٢٣٣. السـمعانى: التـحبـير فى المعـجم الكبـير، جـ١، ص ٢٣٤، ٢٣٥. الغـزى: المصدر نفـسه، جـ٣، ص١٤٩. القـرشى: المصدر نفسه، جـ٢، ص١٢٠.

(٤) السمعانى: الأنساب، جـ٤، ص٥٢٦.

السمرقندى (ت٥٢٣هـ/ ١١٢٨م) من المحدثين، خليفة إبراهيم بن إسماعيل الصفار فى الخطابة بسمرقند، روى عن طاهر بن عبد الواحد النسفى[١]. ومنهم أبو الحسن عبد المجيد بن يوسف بن شعيب أبو الحسن السلمى السمرقندى (ت٥٢٣هـ/ ١١٢٨م) أحد الأئمة الكبار، روى عن أبى حمية محمد بن أحمد الحنظلى، وروى عنه عمر النسفى[٢]. وكان السيد الإمام صدر الإسلام والمسلمين أبو المكارم الأشرف بن محمد بن أبى شجاع بن أحمد بن القاسم بن حمزة بن الحسن بن على بن العباس العلوى الخرقانى السمرقندى (ت٥٢٣هـ/ ١١٢٨م) من كبار علماء الحديث بسمرقند، حدث عن الشيخ أبى الحسن على بن أحمد بن محمد النيسابورى، وأبى القاسم محمود بن أحمد الزهرى، وحدث عنه أبو حفص عمر بن محمد النسفى[٣]. كما كان أبو الحسن على بن أحمد بن نصر بن إبراهيم بن حمدويه ابن قطن بن فرزدق بن طرخان السلمى الحمدويى الاشتيخنى (ت٥٢٤هـ/ ١١٢٩م) من أئمة الحديث، روى عن الإمام أبى محمد عبد الملك ابن عبد الرحمن الاسيرى، وروى عنه أبو حفص عمر النسفى[٤].

ومن أشهر المحدثين أبو نصر أحمد بن الفرج بن عبد العزيز بن أبى الهيثم الساغرجى السغدى (ت٥٢٤هـ/ ١١٢٩م) حدث عن يوسف بن صالح الخطيب وغيره، روى عنه ابنه[٥]. ومنهم عمر بن سعيد بن عبد الرحيم بن أحمد الأصم الكنديكتى السمرقندى (ت٥٢٥هـ/ ١١٣٠م) روى عن عبد

---

(١) السمعانى: الأنساب، جـ٣، ص١٥٧.

(٢) الذهبى: تاريخ الإسلام، جـ٣٦، ص٨٥.

(٣) السمعانى: الأنساب، جـ٢، ص٣٤٨. النسفى: القند فى ذكر علماء سمرقند، ص٩٣.

(٤) السمعانى: المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٦٠.

(٥) الغزى: الطبقات السنية فى تراجم الحنفية، جـ٢، ص٧.

الرحمن بن عبد الرحيم القصارى البخارى، وروى عنه أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد النسفى[١].

وكان أبو حامد أحمد بن حمزة بن محمد بن إسحاق بن أحمد المطوعى الروذبارى (ت٥٢٦هـ/ ١١٣١م) من علماء الحديث البارزين سكن سمرقند، حدث عن أبيه حمزة بن محمد التوذيجى، وروى عنه أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد النسفى الحافظ وأبو بكر محمد بن محمد بن على الزهرى وغيرهما[٢]. كما كان أحمد بن عبد الواحد بن منصور بن نصر الافرنكدى السمرقندى (ت٥٢٧هـ/ ١١٣٢م) من المحدثين الكبار، روى عن محمد بن أحمد الخمنجكثى، وروى عنه أبو حفص عمر بن محمد النسفى[٣].

يعد الواعظ صابر بن أحمد بن محمد بن أحمد بن على بن إسماعيل الدرغمى اليشكديزوى السمرقندى (ت٥٢٨هـ/ ١١٣٣م) من المحدثين البارزين، روى عن أبى نصر أحمد بن الفضل ابن يحيى البخارى، وروى عنه أبو حفص عمر النسفى[٤]. وأبو بكر بن الحسين بن أبى عمرو المستوفى النيسابورى (ت٥٣٦هـ/ ١١٤١م) كان من علماء الحديث، شيخا فاضلا سكن سمرقند، سمع أبا الفتح نصر بن على بن أحمد الحاكمى، وسمع من السمعانى، استشهد بسمرقند فى موقعة قطوان[٥].

والإمام الحافظ المسند أبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر بن أبى الأشعث السمرقندى (ت٥٣٦هـ / ١١٤١م) كان من أشهر المحدثين والرحالة

---

(١) ابن الأثير: اللباب فى تهذيب الأنساب، جـ٣، ص١١٥.

(٢) السمعانى: المصدر نفسه، جـ١، ص٤٩١. ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ص٥٧.

(٣) ابن الاثير: المصدر نفسه، جـ٢، ص٤٢٥.

(٤) السمعانى: الأنساب، جـ٢، ص٤٧١، ٤٧٠.

(٥) السمعانى: التحبير فى المعجم الكبير، جـ٢، ص١٢٠.

فى عصره، سمع من شيوخ دمشق ثم قدم بغداد فسمع ابن النقور والصريفينى وسمع بالقدس من مكى الرميلى، وحدث بدمشق فى دار الحسن بن أبى الحديد، كان ثقة قال السلفى: "ثقة له أنس بمعرفة الرجال، وقال السمعانى: قرأت عليه الكتب الكبار والأجزاء وأملى بجامع المنصور أزيد من ثلاثمائة مجلس فى الجمعات بعد الصلاة، وقال ابن الجوزى: انفرد بأشياخ لم يبق من يروى عنهم غيره وكان مكثرًا فيه عاش إلى أن خلت بغداد وصار محدثها، حتى صار يطلب أجرا على التسميع بعد حرصه على التحديث، وقال أبو القاسم: ما بقى أحد يروى معجم ابن جميع غيرى، ولا عند عبد الهلالى، ومن تلامذته أبو طاهر السلفى، وابن عساكر الدمشقى، وأبو سعد السمعانى[1].

وكان نجم الدين أبو حفص عمر بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن على بن لقمان النسفى السمرقندى (ت٥٣٧هـ/ ١١٤٢م) من أشهر علماء عصره، مبرزا متقنًا لكل نوع من العلم، له نحو مائة مصنف، وكان من أصحاب الحديث، حدث عن إسماعيل بن محمد النوحى وعلى ابن الحسن الماتريدى وأبى محمد الحسن بن أحمد السمرقندى ومهدى بن محمد العلوى وعبد الله بن على النسفى وأبى اليسر محمد بن محمد النسفى، وحدث بكتاب تطويل الأسفار لتحصيل الأخبار من جمعه، وروى فيه عن عامة

---

(١) ابن الجوزى: أعمار الأعيان، تحقيق محمود محمد الطناحى، القاهرة، ١٩٩٤م، ص٦٥. الظاهرى الحنفى: مشيخة ابن البخارى، ص٢٠٠. ابن الصابونى: تكملة إكمال الإكمال فى الأنساب والأسماء والألقاب، تحقيق مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمى العراقى، ١٩٥٧، ص٦٤. أبو القاسم إسماعيل السمرقندى: ما قرب سنده من حديث، تحقيق عطاء الله بن عبد الغفار بن فيض أبى مطيع السندى، ١٩٩٤، ص٥ - ٨. ابن الملقن: العقد المذهب فى طبقات حملة المذهب، تحقيق أيمن نصر الازهرى سيد مهنى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧، ص٢٨٠..

مشايخه ومستجازاته ومتناولاته عن جميع مشايخه، قال: وهم خمسمائة وخمسون رجلا. وقام " بشرح كتاب صحيح البخارى وسماه النجاح فى شرح كتاب أخبار الصحاح"، وذكر أنه خرج تسعة وعشرين حديثا عن تسعة وعشرين شيخا كل شيخ حديث، أجاز للسمعانى جميع مروياته، وروى عنه ابنه أبى الليث أحمد بن عمر(١).

ومن علماء الحديث أبو الخير دلف بن عبد الله بن محمد بن عمر بن التبان البغدادى (ت٥٤٠هـ/ ١١٤٥م) نزيل سمرقند، له رحلة واسعة إلى بلدان العالم الإسلامى، صحب عبد القادر الجيلى وسمع من الحافظ ابن ناصر وسعد بن الخير بن محمد الأنصارى وغيرهم، وسمع بسمرقند من محمد بن نصر بن منصور المدينى ومحمود بن على النسفى، وحدث بها، وروى عنه أبو المظفر بن السمعانى فى مشيخته وأبو بكر الفرغانى خطيب سمرقند(٢). وأبو بكر محمد بن نصر بن محمد بن منصور بن على بن محمد بن يعلى بن الفضل بن طاهر بن سلمة بن علقمة بن علاء العوفى العامرى (ت٥٥٠هـ/ ١١٥٥م) من علماء الحديث، بسمرقند، كان إماما زاهدا سمع أبا الحسن بن عبد الملك بن الحسين النسفى والملك العالم وأبا الفتح نصر بن إبراهيم الخاقان وغيرهم، قال السمعانى: سمعت منه كتاب دلائل النبوة لأبى العباس المستغفرى الحافظ بروايته عن أبى على النسفى(٣).

---

(١) الذهبى: سير أعلام النبلاء، جـ٢٠، ص١٢٦. ابن العماد: شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، جـ٤، ص١١٥. عماد الدين الاصفهانى: خريدة القصر وجريدة العصر، جـ٢، ص١٢٠. ابن فضل الله العمرى: مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار، جـ٦، ص١٠٣، ١٠٤. النسفى: العقائد النسفية، ص٩. قيس ال قيس: الإيرانيون والأدب العربى، مج١، ص ٢٨٧، ٢٨٨. محمد بن الحسن الثعالبى الفاسى: الفكر السامى فى تاريخ الفقه الإسلامى، مج٢، ص١٨٠.

(٢) الصفدى: الوافى بالوفيات، جـ١٤، ص٢٧.

(٣) السمعانى: التحبير فى المعجم الكبير، جـ٢، ص٢٤٥.

كما كان أبو الحسن على بن محمد بن حمزة بن محمد الفلكى الأصبهانى (ت٥٥٠هـ / ١١٥٥م) شيخ صالح سديد السيرة حافظ القرآن الكريم قال السمعانى: قدم علينا سمرقند وذكر لى أنه سمع كتاب الحلية لأبى نعيم الحافظ عن أبى على الحسن بن أحمد الحداد عنه، وقال: سمعت كتاب المعجم الصغير لأبى القاسم الطبرانى بروايته عن أبى على الحداد وسمع مع السمعانى الحديث بمكة ثم عاد من سمرقند إلى وطنه[١]. وأبو المحامد محمود ابن أحمد ابن الفرج الساغرجى (ت٥٥٠هـ/ ١١٥٥ م) محدثا وفقيها عارفا بالسنن، صار شيخ الإسلام بسمرقند، وكان فاضلا مفتيا مصيبا، حسن السيرة، عارفا بالمتفق والمختلف، كثير العبادة تفقه على البرهان ببخارى وسمع الحديث منه، ومن جماعة ببخارى وسمرقند، قال السمعانى: سمعت منه الكثير بسمرقند مثل كتاب "تنبيه الغافلين" لأبى الليث السمرقندى بروايته عن الخطيب التنوخى عن حفيد الترمذى عنه، وذكر للسمعانى قائلا إنى: أول ما كتبت الحديث كان فى سنة٤٩١هـ/ ١٠٩٧م[٢]. وكان أبو القاسم محمد بن يوسف بن محمد بن على بن محمد بن محمد بن على العلوى الحسنى السمرقندى (ت٥٥٦هـ/ ١١٦١م) من أبرز علماء الحديث، حج وأقام فى عودته مدة فى بغداد، وكان شديد النقد للعلماء والأئمة، وله مصنفات كثيرة[٣]. وأبو محمد عمر بن أحمد بن أبى الحسن المرغينانى الفرغانى (ت٥٥٦هـ/ ١١٦٠م) نزيل سمرقند، كان إماما ورعا متواضعا سمع وحدث بسمرقند[٤].

---

(١) السمعانى: الأنساب، جـ٤، ص٤٠٠

(٢) الداودى: طبقات المفسرين، جـ٢، ص٣٠٩. الذهبى: تاريخ الإسلام، جـ٣٧، ص٤٣٤. السمعانى: الأنساب، جـ٣، ص ١٩٨، ١٩٩. ابن قطلوبغا: تاج التراجم فى من صنف من الحنفية، ص ٢٤٥، ٢٤٦.

(٣) الداودى: المصدر نفسه، جـ٢، ص ٢٩١، ٢٩٢. القرشى: الجواهر المضية، جـ٣، ص٤٠٩. الزركلى: الأعلام، جـ٧، ص١٤٩.

(٣) الاسنوى: طبقات الشافعية، جـ٢، ص١٣٤. السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، جـ٧، ص٢٤١.

(٤) القرشى: المصدر نفسه، جـ٢، ص٧٦.

ومن كبار المحدثين أبو ثابت الحسن بن على بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم بن موسى بن عيسى بن مجاهد النسفى البزدوى (ت٥٥٧هـ/ ١١٦١م) ولد بسمرقند، رحل إلى العديد من البلدان الإسلامية، سمع السمعانى منه" المسند الكبير" لعلى بن عبد العزيز فى ثلاثين جزءاً(٤). كما كانت أم الحسن كمال بنت عبد الله بن أحمد السمرقندى (ت٥٥٨هـ / ١١٦٢م) من أشهر علماء الحديث، وهى زوجة المحدث عبد الخالق اليوسفى، حدثت عن أبى عبد الله الحسين بن أحمد بن طلحة النعالى وطراد بن محمد الزينى مسند العراق، وحدث عنها إبراهيم بن برهان النساج، وقرئ عليها الجزء الثانى من أمالى إسماعيل المحاملى وسمع عليها الجزء السادس والسابع والثامن من حديث المحاملى بسماعها من عمر بن على الطوسى(١).

ويعد أبو الفتح عبد الرشيد بن أبى حنيفة النعمان بن عبد الرزاق بن عبد الملك الوالواجى (ت٥٦٠هـ/ ١١٦٤م) نزيل سمرقند، من علماء الحديث المشهورين، له رحلة واسعة إلى العديد من البلدان الإسلامية(٢). وأبو الفضائل محمد بن عبد الله بن أبى يعمر بن تمام بن الحارث النسفى السمرقندى (ت٥٦٠هـ/ ١١٦٤م) نشأ بسمرقند وسكنها، كان من أهل العلم وبيت الحديث ووالده كان من الحفاظ، سمعه عن جماعة من الشيوخ، وحصل له الإجازة عن شيوخ ما وراء النهر والعراق، سمع أبا القاسم عبيد الله بن محمد بن محمد الكشانى الخطيب وأبا إبراهيم إسحاق بن محمد النوحى وغيرهم وكانت له إجازة من أبى على الحسن بن عبد الملك النسفى(٣).

---

(١) الذهبى: المشتبة فى الرجال، تحقيق محمد على البجاوى، جـ١، القاهرة، ١٩٦٢م، ص٢٣٥. عمر رضا كحالة: أعلام النساء فى عالمى العرب والإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٥٩، جـ٤، ص٢٦٢.

(٢) الذهبى: تاريخ الإسلام، جـ٣٨، ص٣٥١.

(٣) السمعانى: التحبير فى المعجم الكبير، جـ٢، ص١٤٦.

كما كان أبو سعد عبد الكريم السمعانى بن الحافظ تاج الإسلام معين الدين أبى بكر محمد ابن العلامة أبى المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد بن محمد بن جعفر المروزى (ت٥٦٢هـ/ ١١٦٦م) من أشهر علماء الحديث، له الرحلة الواسعة إلى الآفاق، وطاف بمختلف مدن ما وراء النهر، وصحب معه ابنه أبا المظفر عبد الرحيم، وسمع بجميع هذه البلاد، واسمع بها ابنه، ودخل سمرقند مرتين، والتقى بعدد كبير من مشايخ سمرقند وكذلك بالعلماء الوافدين عليها وأخذ عنهم الحديث، وكان للسمعانى مجالس إملاء فى سمرقند، وكان ثقة، روى عنه ابنه عبد الرحيم مفتى مرو[1].

ومن أشهر علماء الحديث أبو شجاع عمر بن محمد بن عبد الله ضياء الإسلام البسطامى (ت٥٦٢هـ/ ١١٦٦م) من أهل بلخ وسكن سمرقند، كان أستاذ صاحب الهداية، له إجازة عالية ويد باسطة فى جميع العلوم، وكان فقيها حافظا محدثا، واسع الرحلة فى طلب الحديث إلى مرو وبلخ وهراة وبخارى وسمرقند، سمع من السمعانى[2]. ومن بينهم على بن إسحاق بن إبراهيم الحنظلى السمرقندى (٥٦٢هـ/ ١١٦٦م) سمع منه السمعانى، له مصنفات كثيرة أهمها كتاب المشافهات[3] وأبو المظفر بن أبى محمد هبة الله ابن عبد الله بن أحمد بن عمر بن الأشعث السمرقندى الأصل (ت٥٦٣هـ/ ١١٦٧م) من بيت الحديث والرواية، سمع ابن طلحة النعالى وأبا

---

(١) البخارى: التاج المكلل، تعليق عبد الحكيم شرف الدين، ط٢، المطبعة الهندية العربية، ١٩٦٣، ص٧٦. السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، جـ٧، ص١٨١، ١٨٠. السمعانى: الأنساب، جـ١، ص١٠ الصالحى: طبقات علماء الحديث، جـ٤، ص٩٢ - ٩٤. زكى محمد حسن: الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى، ص٦٨. منيرة ناجى سالم: تاج الإسلام السمعانى وكتابه التحبير، ص٣٠٧.

(٢) الاسنوى: طبقات الشافعية، جـ١، ص١٢٦، ١٢٥. اللكنوى: الفوائد البهية، ص١٥٠.

(٣) عمر رضا كحاله: معجم المؤلفين، مج٢، ص٤٠٤.

محمد السراج، وسمع منه أبو سعد السمعانى، وروى عنه جماعة[1]. وكان أبو محمد سراج الدين على بن عثمان الاوشى الفرغانى (ت٥٧٥هـ/ ١١٧٩م) من المحدثين المشهورين، حدث عن شيخ الإسلام نصير الدين أبى عبد الله محمد بن سليمان الاوشى، سمع منه طبقات أبى بكر محمد الطوسى ثم جمع من مروياته مسند أنس بن ملك بإسناد واحد، ثم رحل إلى سمرقند، وسمع بها جامع الترمذى إجازة من العالم محمد بن عبد الحميد الاسمندى، وغريب الحديث لأبى عبيد، كما سمع صحيح البخارى عن الإمام ظهير الدين أبى المحاسن حسن بن على بن عبد العزيز البخارى، وصنف سراج الدين مصنفات جيدة فى الحديث[2].

فضلا عن الشيخ المحدث أبو نصر شعيب بن الحسن بن محمد بن شعيب السمرقندى الأصل الأصبهانى المولد (ت٥٩٢هـ/ ١١٩٥م) سمع من الشريف أبى الحسين بن هاشم بن طاهر بن طباطبا العلوى، وأم إبراهيم فاطمة بنت عبد الله الجوزدانية[3]. والشيخ أبو محمد إسماعيل بن الحسين بن يعقوب البغدادى الحربى المعروف بابن اللبادى السمرقندى (ت٦١٩هـ/ ١٢٢٢م) كان من كبار علماء الحديث، سمع من أبى الفتح محمد بن عبد الباقى ابن أحمد، وحدث، قال المنذرى: لنا منه إجازة[4].

صفوة القول اهتم علماء المسلمون فى مدن إقليم الصغد بالحديث ولا سيما فى القرنين الخامس والسادس الهجريين، وظهر عدد عظيم من علماء الحديث الذين أفنوا أعمارهم فى تصنيفه وضبطه وتنقيحه، وكان لهؤلاء

---

(١) الذهبى: المصدر نفسه، جـ٣٩، ص١٨٣.

(٢) هشام نشابه: موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، جـ٢، ص ٥٦٣، ٥٦٤.

(٣) الذهبى: تاريخ الإسلام، جـ٤٢، ص٩١. المنذرى: التكملة لوفيات النقلة، مج١، ص٢٦٥.

(٤) المنذرى: المصدر نفسه، مج٣، ص ٨٨، ٨٩.

العلماء فضل" كبير" فى النهضة العلمية فى شتى العلوم وبالأخص فى علم الحديث، وليس ذلك فى إقليم الصغد فحسب بل فى أرجاء العالم الإسلامى.

رابعا: علم الفقه

يسمى بعلم الدراية، وهو معرفة النفس ما لها وما عليها[١]. والفقه فى اللغة العلم بالشىء والفهم له والفطنة[٢]. قال تعالى" فَمَا لِهَؤُلاء الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا "[٣] وقال عز وجل" وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى، يَفْقَهُوا قَوْلِى "[٤]. أى يعلمون المراد منه ويفهمونه. وقال ﷺ "من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين"[٥]. وفى الاصطلاح هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية، وهو مستنبط بالرأى والاجتهاد ويحتاج فيه إلى النظر والتأمل[٦].

---

(١) عبد المجيد محمود: المدرسة الفقهية للمحدثين، مدخل لدراسة الاتجاهات عند أصحاب الحديث، القاهرة، ١٩٧٢، ص١١. محمد عادل عبد العزيز: الحضارة الإسلامية، ص١٨٠.

(٢) الغزالى: المستصفى من علم الأصول، تحقيق محمد سليمان الاشقر، جـ١، بيروت، ١٩٩٧، ص٣٥. اليوسفى: البدور اللوامع فى شرح الجوامع فى أصول الفقه، تحقيق حميد حمانى اليوسفى، جـ١، الدار البيضاء، ٢٠٠٢م، ص١٦٧. حسين حامد حسان: أصول الفقه، المطبعة العالمية، القاهرة، ١٩٧٠، ص٣.

(٣) النساء: آية٧٨

(٤) طه: آية٢٧ـ٢٨

(٥) البخارى: صحيح البخارى، جـ١، ص٢٧.

(٦) الحسين بن رشيق المالكى: لباب المحصول فى علم الأصول، جـ١، ص١٩١، ١٩٢. الغزالى: المستصفى من علم الأصول، جـ١، ص٣٥. النسفى: العقائد النسفية، ص١٦. اليوسفى: البدور اللوامع فى شرح الجوامع فى أصول الفقه، جـ١، ص١٦٨. حسين حامد حسان: أصول الفقه، ص٣. حنا الفاخورى وخليل الجر: تاريخ الفلسفة العربية، جـ١، ط٢، بيروت، ١٩٩٣م، ص١٣٣.

تجدر الإشارة هنا أن الإسلام لم يهتم بتصحيح عقيدة الإنسان وفكرته عن خالقه فحسب، وإنما سعى أيضا إلى التوفيق بين أشواق الروح ونوازع الجسد، فاهتم بالحياة التى يحياها الناس على الأرض ووضع الضوابط التى تحكم مختلف النشاط الإنسانى وتنظم علاقة الإنسان بخالقه وبالآخرين من بنى جنسه(١). قال ابن خلدون: "الفقه معرفة أحكام الله تعالى فى أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكراهة والإباحة، وهى ملتقاه من الكتاب والسنة، وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه"(٢).

ويعتبر الفقه الإسلامى ضربا فريدا بين التشريعات والقوانين التى عرفها العالم حتى الآن، سواء من ناحية الأسس التى قام عليها أو المقاصد أو الغايات التى استهدفها، والأحكام والحلول التى جاء بها على مر العصور(٣). والفقه بهذا المعنى يعد منار الأحكام والمميز بين الحلال والحرام، به تصح العبادات وتنتظم أمور المعاملات(٤). ويشير إلى ذلك قوله تعالى "مَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ من كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ"(٥).

---

(١) عبد الستار الحلوجى: دراسات فى الكتب والمكتبات، ص١٠٩.

(٢) ابن خلدون: العبر، جـ١، ص٤٤٥. محمد راغب الطباخ: الثقافة الإسلامية، ص٢٤٩.

(٣) الشاشى: حلية العلماء فى معرفة مذاهب الفقهاء، تحقيق ياسين أحمد إبراهيم درادكه، جـ١، عمان، ١٩٨٨م، ص١٥.

(٤) أحمد بن يحيى بن المرتضى: كتاب الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار ويليه كتاب جواهر الأخبار والآثار للعلامة المحقق محمد بن يحيى بهران الصعيدى، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٤٧، ص٢م.

(٥) التوبة: آية١٢٢.

وبطبيعة الحال لم ينشأ الفقه الإسلامى فجأة وإنما استغرق وقتا طويلا، ومر بعدة مراحل حتى بلغ كماله. أما الأطوار التى مر بها الفقه فهى كالتالى:

الطور الأول: وهو طور النشأة، وكان فى حياة رسول الله ﷺ وانتهى بوفاته عليه الصلاة والسلام. وكانت سلطة التشريع والفتوى والقضاء بيد رسول الله وحده، ولم يترك عليه الصلاة والسلام فقها مدونا وإنما ترك جملة من الأصول والقواعد الكلية والأحكام الجزئية مثبوته فى القرآن والسنة[١].

الطور الثانى: وهو طور الشباب أو الاجتهاد، وبدأ هذا الطور فى عهد الخلفاء الراشدين حينما اتسعت رقعة البلاد الإسلامية، وتفرق الصحابة فى الأمصار وكثر التحدث عن رسول الله، والتعمق فى استنباط الأحكام من القرآن، واتسعت أبواب الاجتهاد، وبدأ الفقه يتميز ويتكون، وأصبح اختصاصا يقصر العلماء جهودهم عليه[٢].

كان لكثرة التحديث عن رسول الله أن زاد الشك فى صحة هذه الأحاديث فاتجه بعض الفقهاء إلى الاجتهاد بالرأى ولذلك ظهرت نزعتان فى الفقه.

* نزعة أهل الحديث، وكانت بالمدينة وشيوخها هم مالك بن أنس ومن جاء بعده من أتباعه.

* نزعة أهل الرأى والقياس وكانت بالعراق، وشيوخها هم أصحاب أبى حنيفة ومن جاء بعده من أتباعه[٣]. وغلب على أهل الحديث جانب الرواية لكون المدينة موطن الصحابة ومكان الوحى. وكان أهل الحديث يقبلون

---

(١) عبد المجيد محمود: المدرسة الفقهية للمحدثين، ص١٢.

(٢) أبو زيد شلبى: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٢١٨، ٢١٩.

(٣) محمد بن حسين بن حسن الجيزانى: معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، السعودية، ١٩٩٦، ص٢٦.

فى بناء أحكامهم كل الأحاديث ويقدمون الحديث الضعيف على الاجتهاد بالرأى. وغلب على أهل الرأى جانب الرأى لعدم توافر أسباب الرواية لديهم، لكثرة الفتن والوضع[١].

الطور الثالث: وهو طور النضج والكمال والتدوين، أو عصر المذاهب الفقهية، وبدأ هذا الطور من أوائل القرن الثانى إلى منتصف القرن الرابع، وبلغ الفقه فيه الأوج فى الاجتهاد والتدوين والتفريع المذهبى .

والطور الرابع بدأ من منتصف القرن الرابع إلى منتصف القرن السابع، وفيه نشطت حركة التحرير والتخريج والترجيح فى المذاهب مع غلبة التقليد والتعصب[٢].

ويعد العصر السلجوقى نقطة فاصلة فى تاريخ التشريع الإسلامى، حيث توقف الاجتهاد وحصر الفقهاء أنفسهم حول مذاهبهم واستندوا فى أحكامهم على ما يجدونه فى مذاهب أئمتهم والتزم كل منهم مذهبا معينا لا يتعداه، وضعفت عزائمهم واكتفوا بالمحاكاة والتقليد، وتعصب كل واحد لمذهبه. واقبل العلماء على المذاهب وانصرفوا عن الاجتهاد، ووقفوا عند هذا الحد لا يستظهرون غير المتون، واقتصر عملهم الفقهى على فهم كلام الأئمة أو تفريغ قواعدهم، وعمل الحواشى والتعليقات على كتبهم[٣].

عمل العلماء فى العصر السلجوقى على جمع الآثار ورجحوا بين الروايات وخرجوا على الأحكام، وبنوا فتاويهم على شتى المسائل والفروع من

---

(١) أبو زيد شلبى: المرجع نفسه، ص ٢١٩، ٢٢٠. روم لاندو: الإسلام والعرب، ص١٩٢، ١٩٣. محمد بن حسين بن حسن الجيزانى: المرجع نفسه، ص٢٦.

(٢) أبو زيد شلبى: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٢٢٠. عبد المجيد محمود: المدرسة الفقهية للمحدثين، ص١٢.

(٣) مريزن سعيد مريزن: الحياة العلمية فى العراق، ص٣٣٨.

أصول أئمتهم وقواعدهم وفتاويهم وتشددوا فى الالتزام، وكان من نتائج ذلك ظهور التعصب المذهبى، حيث خاضوا فى ميدان الجدل والمناظرة فى مجالس علمية، كان يحضرها العلماء الأجلاء وأدلوا فيها بالبراهين والحجج، وألفوا كتب الخلافيات، وجمعوا فيها أحكام الأئمة وأدلتهم، ونصر كل إمامه، ودعم رأيه وخطأ أدلة مخالفيه من علماء المذاهب الأخرى(١). والمتتبع للحركة الفقهية فى العصر السلجوقى ولا سيما فى مدن إقليم الصغد يجد أنه يكاد يقتصر على المذهبين الحنفى(٢) والشافعى(٣). وكان الفقهاء أكثر العلماء

---

(١) مريزن سعيد مريزن: المرجع نفسه، ص٣٣٩.

(٢) المذهب الحنفى نسبة إلى أبى حنيفة النعمان بن ثابت المتوفى سنة ١٥٠هـ/ ٧٦٧م، كان إماما ورعا عالما فاضلا متعبدا .قال الشافعى: الناس عيال علىٰ أبى حنيفة*. وكان أبو حنيفة وأتباعه أول من نظم توسع الشريعة، وعرف الأحناف بأنهم محررو التشريع الإسلامى لأنهم اعتمدوا على القياس الذى استجمعوه من القرآن وقللوا الاعتماد على الحديث، واصطنع أبو حنيفة هذه الطريقة لتوسيع نطاق القانون لأن وضع الحديث الكاذب شاع فى تلك الفترة، ومن ثم قام مذهبه على التشدد فى قبول الحديث والتحرى عنه وعن رجاله، حتى أنه كان لا يقبل الخبر عن رسول الله إلا إذا رواه جماعة عن جماعة عن جماعة**.

* عبد العزيز ولى الله الدهلوى: بستان المحدثين فى بيان كتب الحديث، بيروت، ٢٠٠٢م، ص٦٥.

** سيد مرتضى: تبصرة العوام فى مقالات الأنام، تهران، ١٣١٣، ص,٨٩ روم لاندو: الإسلام والعرب، ص ١٩٢، ١٩٣ .

(٣) المذهب الشافعى نسبة إلى أبى عبد الله محمد بن إدريس القرشى المطلبى الشافعى المكى المتوفى سنة ٢٠٤هـ / ٨١٩م نشأ بمكة وأقبل على العلوم فتفقه بمذهب مالك وغيره، وجمع بين منهجى أهل الحديث وأهل الرأى، واستطاع الشافعى أن يضع للفقهاء أصولا للاستنباط وقواعد للاستدلال، وضوابط للاجتهاد. سيد مرتضى: تبصرة العوام فى مقالات الأنام، ص١٤٣ .عبد الوهاب الشعرانى: الطبقات الكبرى، جـ١، القاهرة، ١٣١٥، ص٤٣. عبد العزيز ولى الله الدهلوى: بستان المحدثين فى بيان كتب=

تلاميـذ، وكان ذلك طبيعـيا لأن الفقـهاء يعلمون العلم الذى يؤهل أصـحابه لتولى مناصب يعيشون منها[1]، فكان لابد لمن يريد تولى القضاء والخطابة فى المساجد من التتلمذ عليهم[2].

ظهر خـلال العصـر السلجوقى فى مـدن إقليم الصغد عـدد عظيم من فحول علماء الفـقه الذين افنوا أعمارهم فى تصنيفه وضبطه، وأسـدوا للثقافة الإسلاميـة خدمات جليلة بجدهم وصبرهم علـى البحث ورحلتهم إلى منابع العلم يأخذونه من أهله حيث كان. ومنهم القاضى الـعلامة أبو زيد عبيد الله ابن عمر بن عيسى الحنفى الدبوسى (ت٤٣٠هـ/١٠٣٨م) كان شيخ الحنفية بما وراء النهر عالما فقـيها حسن السيرة، انتهت إليه رياسـة مذهب أبى حنيفة فى زمانه[3].

وكان الحاكم أبو الحسن على بن أحمد بن محمد بن الحسن الاسترابادى (ت٤٣٢هـ / ١٠٤٠م) من كبار أئمة الحديث بسمـرقند، يعنى أئمة الشافعية، وعـرف أهل تلك البـلاد أنه إذا أطلق أصحـاب الحـديث لا يفهـم منه غيـر الشافعـية. قال السلفى: "كان له الدرس والفتـوى ومجلس النظر والتوسط، ومع ذلك كـان يقرأ كل يوم خـتمـة مع الكتـابة فى أكثـر النهار ولا يشـغله أحدهمـا عن الآخر، واشتهـر بين الفقهـاء بزهده وفضله[4]. والشيخ الإمام

=الحديث، ص٦٧، ابن قاضى شهبه: طبقـات النحاة واللغويين، بغداد، ص٦٢. محمد ابن حسـين بن حسن الجيزانـى: معالم أصول الفـقه عند أهل السنة والجمـاعة، دار ابن الجوزى، السعودية، ١٩٩٦، ص٢٧.

(١) آدم متز: الحضارة الإسلامية، جـ١، ص٣٢٠.

(٢) آدم متز: المرجع نفسه، جـ١، ص٣٣٣.

(٣) ابن تغـرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٥، ص٧٦، ٧٧. الذهبى: سيـر أعلام النبـلاء، جـ١٧، ص٥٢١.

(٤) الاسنوى: طبقـات الشافعـية، جـ١، ص٥٣. ابن الصلاح: طبـقات الفقهـاء الشافعـية، تحـقيق مـحى الدين على نجـيب، جـ٢، دار البـشائر الإسـلامـية، بيـروت، ١٩٩٢،=

الخطيب الحافظ أبو العباس جعفر بن محمد بن المعتز بن محمد بن المستغفر النسفى السمرقندى المستغفرى خطيب نسف (ت٤٣٢هـ/ ١٠٤٠م) لم يكن ببلاد ما وراء النهر فى عصره مثله، رحل فى طلب العلم إلى خراسان، وأقام بسرخس ومرو مدة، جمع الجموع وصنف التصانيف القيمة منها: كتاب طب النبى، الدعوات، معرفة الصحابة، فضائل القرآن دلائل النبوة، الشمائل، المنامات[١].

ويعد أبو اسحق محمد بن منصور بن مخلص النوقدى (ت٤٣٤هـ/ ١٠٤٢م) من أشهر الفقهاء، زميل الفقيه أبى الليث السمرقندى، ودرس على أستاذه أبى جعفر الهنداوى، واشتغل بالتدريس والفتوى وصار مفتيا بسمرقند[٢]. والعلامة المفتى أبو الحسن على بن إبزاهيم بن نصرويه بن سختام السمرقندى الخطيبى (ت٤٤١هـ/ ١٠٤٩م) كان من أهل العلم والتقدم فى الفقه على مذهب أبى حنيفة، وكان يذكر أنه من العرب،وأدركه أجله بطريق مكة قريبا من كربلاء[٣]. وأبو على محمد بن الوليد السمرقندى الحنفى (ت٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م) كان من أبرز الفقهاء ببلاد ما وراء النهر، من مؤلفاته الجامع الأصغر فى الفروع، ومجموع الفتاوى[٤].

=ص٦٠١. ابن كثير: طبقات الفقهاء الشافعيين، تحقيق أحمد عمر هاشم ومحمد زينهم محمد عزب، جـ١، ١٩٩٣، ص٣٩٦. النووى: مختصر طبقات الفقهاء، تحقيق عادل عبد الموجود وعلى معوض، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٩٥، ص ٥٠٣، ٥٠٤. النسفى: القند فى ذكر علماء سمرقند، ص٥٤٥.

(١) القرشى: الجواهر المضية، جـ٢، ص١٩. السيد محسن الأمين: أعيان الشيعة، مج٤، بيروت، ١٩٨٦م، ص١٨٣. النسفى: القند فى ذكر علماء سمرقند، ص١٧.

(٢) أبو الليث السمرقندى: خزانة الفقه، مج١، ص٥٩.

(٣) الذهبى: سير أعلام النبلاء، جـ١٧، ص٦٠٥، ٦٠٤. ابن العماد: شذرات الذهب، جـ٣، ص٢٦٦. القرشى: المصدر نفسه، جـ٢، ص ٥٣٣، ٥٣٤.

(٤) إسماعيل باشا البغدادى: هدية العارفين، جـ٢، ص٧١

كما يعد شيخ الإسلام أبو الحسن على بن حسين بن محمد السغدى (ت٤٦١هـ/ ١٠٦٨م) من أئمة علماء الفقه، كان إماما فاضلا وفقيها مناظرا، سكن بخارى، وتصدر للإفتاء، وولى القضاء، وانتهت إليه رياسة الحنفية، ورُحل إليه فى النوازل والواقعات، أخذ الفقه عن شمس الأئمة السرخسى وروى عنه شرح السير الكبير، ومن تصانيفه النتف فى الفتاوى، شرح الجامع الكبير للشيبانى فى فروع الفقه الحنفى[١]. وعبد العزيز بن عبد الرزاق بن أبى نصر ابن جعد بن سليمان بن متكان المرغينانى (ت٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م) نزيل سمرقند، كان له ستة بنين كلهم يصلح للتدريس والفتوى، فإذا خرج مع أولاده قالوا سبعة من المفتين خرجوا من دار واحدة، سمع الإمام أبا الحسن نصر بن الحسن المرغينانى وغيره، روى عنه أولاده[٢].

ومن أئمة علماء الفقه القاضى أبو نصر أحمد بن نصر الاسبيجابى (ت٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م) أحد شراح مختصر الطحاوى، كان من المتبحرين فى الفقه، سكن سمرقند وجلس للفتوى وصار المرجع إليه فى الوقائع وانتظمت له الأمور الدينية وظهرت له الآثار الجميلة، وجد بعد وفاته صندوق له فيه فتاوى كثيرة كان فقهاء عصره أخطؤوا فيها، فوقعت عنده فأخفاها فى بيته لئلا يظهر نقصانهم، وما تركها فى أيدى المستفتين لئلا يعملوا بغير الصواب، وكتب أسئلتهم ثانيا وأجاب على الصواب، لكن الاسبيجابى لم يجمع المسائل

---

(١) القارى: طبقات الحنفية، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، رقم٩٢٩-٩٣٠ تاريخ، ميكروفيلم ١٧٨٧، ص٣٧. ابن الأثير: اللباب فى تهذيب الأنساب، جـ٢، ص١٢٠. اللكنوى: الفوائد البهية، ص١٢١. إسماعيل باشا: هدية العارفين، جـ١، ص٦٤٨. بروكلمان: تاريخ الأدب العربى، جـ٦، ترجمة عبد الحليم النجار، ط٥، دار المعارف. القاهرة، ص٢٨٧.

(٢) السمعانى: الأنساب، جـ٥، ص٢٦٠.

الفقهية فى مؤلف، فقام الفقيه الحافظ أحمد بن منصور الطبرى المتوطن بسمرقند بجمعها على غاية من التطويل، وهو فى كل ذلك مفيد(١).

وكان فخر الإسلام أبو الحسن على بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم ابن موسى بن عيسى بن مجاهد البزدوى المدرس بسمرقند (ت٤٨٢هـ/ ١٠٨٩م) إمام أصحاب أبى حنيفة ببلاد ما وراء النهر يضرب به المثل فى حفظ المذهب وطريقته مفيدة، من مؤلفاته شرح الجامع الصغير للشيبانى فى الفروع، شرح الجامع الكبير، شرح زيادة الزيادات للشيبانى، غناء الفقهاء فى الفروع، سيرة المذهب فى صفة الأدب(٢).

كما كان أبو القاسم على بن المظفر بن زيد بن حمزة بن محمد العلوى الحسينى بن أبى يعلى الدبوسى (ت٤٨٢هـ/ ١٠٨٩م) من كبار أئمة الشافعية، وهو من ذرية الحسين الأصغر ابن زين العابدين بن على بن الحسين، متوحدا متفردًا فى الفقه، وكان حسن الخَلْق والخُلُق سمحا جوادا كثير المحاسن فطنا فى الاجتهاد، وكان موفقا فى الفتوة، قدم بغداد وولى التدريس بنظامية بغداد، وأغلب الظن أن سبب تعيينه كان بعد نجاحه فى المناظرة التى عقدت بينه وبين أبى المعالى الجوينى أمام الوزير نظام الملك فى أصبهان وتفوقه فيها على منافسه، تفقه عليه جماعة من البغداديين، ومن الغرباء وأملى ببغداد مجالس، سمع أبا عمر بن عبد العزيز القنطرى، وروى عنه عبد الوهاب

---

(١) القرشى: الجواهر المضية، جـ١، ص٣٣٦، ٣٣٥. ابن قطلوبغا: تاج التراجم، ص٥٤. التميمى: الطبقات السنية، جـ٢، ص١١٢، ١١

(٢) الذهبى: سير أعلام النبلاء، جـ١٨، ص ٦٠٢، ٦٠٣. الزركشى: تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكى، جـ١، ص٢٠١. السلفى: معجم السفر، تحقيق شبر محمد زمان، جـ٣، إسلام آباد، باكستان، ١٩٨٨م، ص٥٠٤. الصفدى: الوافى بالوفيات، جـ٢١، ص٤٣٠. طاش كبرى زاده: طبقات الفقهاء، ص٨٥. النسفى: القند فى ذكر علماء سمرقند، ص٥٥٤. بروكلمان: تاريخ الأدب العربى، جـ٦، ص٢٨٨. ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد دوم، ص٢٦٣.

الانماطى، وأبو الفضل محمد بن أبى الفضل المسعودى وآخرون[1]. وشيخ الإسلام خواهر زاده - ابن أخت العالم - أبو محمد بن الحسن البخارى السمرقندى (ت٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م) وابن أخت القاضى أبى ثابت محمد بن أحمد البخارى، كان شيخ الأحناف ببلاد ما وراء النهر، وطريقته أبسط طريقة للأصحاب، أخذ عن خاله أبى ثابت وعن أبى الفضل منصور بن نصر الكاغدى، وروى عنه أبو عمر عثمان بن على بن محمد البيكندى ومن مؤلفاته: المختصر، التجنيس، المبسوط[2].

يعد الإمام أبو طاهر عبد الرحمن بن أحمد بن علك الساوى الشافعى (ت٤٨٤هـ/ ١٠٩١م) أحد أئمة الفقه المشهورين، تفقه بسمرقند وصحب عبد العزيز النخشبى، وأخذ عنه علم الحديث، رحل فى طلب العلم إلى العراق والحجاز وسمع أبا الربيع الايلاقى، وسمع منه إسماعيل بن السمرقندى، وشيع نظام الملك جنازته وجمع من الأكابر، وكان أبوه أمير الحجاج قدم أصبهان وكتب عن جماعة، قال شيوخ عصره لم ير فقيه" فى وقته أنصف منه[3].

---

(١) ابن الأثير: اللباب فى تهذيب الأنساب، جـ١، ص٤٩٠. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٥، ص١٢٩. ابن الجوزى: المنتظم، جـ٩، ص٥٠. الذهبى: سير أعلام النبلاء، جـ١٩، ص٩١ - ٩٣. السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، جـ٥، ص٢٩٦، ٢٩٧. ابن الصلاح الشهرزورى: طبقات الفقهاء الشافعية، جـ٢، ص٨١٨. ابن كثير: طبقات الفقهاء الشافعيين، جـ٢، ص٤٨٣. أحمد تيمور باشا: ضبط الأعلام، ص٨٢، ٨٣. عبد الهادى محمد رضا محبوبه: نظام الملك، ص٣٧٥.

(٢) حسين الديار بكرى: تاريخ الخميس، جـ٢، ص٣٦٠. طاش كبرى زاده: طبقات الفقهاء، ص٨٨. النسفى: القند فى ذكر علماء سمرقند، ص٤٦٦. الزركلى: ترتيب الأعلام على الأعوام، مج١، ص٣٤٤.

(٣) الاسنوى: طبقات الشافعية، جـ١، ص٣٣٠، ٣٣١. ابن الجوزى: المصدر نفسه، جـ٩، ص٥٨، ٥٩. الذهبى: تاريخ الإسلام، جـ٣٣، ص١٢٧، ١٢٨. الصفدى: الوافى-

وكان العلامة شيخ الحنفية أبو اليسر محمد بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم البزدوى (ت٤٩٣هـ/ ١٠٩٩) إمام الأئمة على الإطلاق والموفود إليه من الآفاق، انتهت إليه رئاسة الحنفية فى بلاد ما وراء النهر، وولى قضاء سمرقند، وتبوء عدد من أفراد هذه الأسرة القضاء مما يدل على شهرتهم وتميزهم لاسيما أن رئاسة الحنفية كانت فى أيدى هذه الأسرة، ودرس أبو اليسر محمد البزدوى الفقه على أيدى كبار علماء عصره وكان إمام الأئمة كثير التصانيف فى الفقه الحنفى، تفقه عليه علاء الدين محمد السمرقندى، كثرت تصانيفه فى الفقه الحنفى، ومنها: المبسوط فى فروع الفقه فى مجلدات، وطلبة الطلبة، وكتاب فيه معرفة الحجج الشرعية[1]. وأبو الحسن إدريس بن حمزة بن على الرملى الفقيه الشافعى (ت٥٠٤هـ/ ١١١٠م) كان من أهل الرملة بفلسطين، تفقه على أبى الفتح نصر بن إبراهيم المقدسى وعلى الشيخ أبى إسحاق الشيرازى، رحل فى طلب العلم إلى بلاد ما وراء النهر وسكن سمرقند، وفوض إليه التدريس بها لأصحاب الشافعى، وكان علماء سمرقند يفخمون أمره ويذكرونه بالتعظيم، ويهابون الكلام معه فى المسائل لفصاحته

=بالوفيات، جـ١٨، ص١٠٦. ابن الصلاح: المصدر نفسه، جـ٢، ص٧٦٧. ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٢، ص١٣٨. ابن كثير: طبقات الفقهاء الشافعيين، جـ٢، ص٤٨٢. النسفى: المصدر نفسه، ص٣٦٤.

(١) البزدوى: كتاب فيه معرفة الحجج الشرعية، تحقيق مارى برناند وايريك شومون، المعهد الفرنسى للآثار الشرقية، القاهرة، ٢٠٠٣، ص١. الذهبى: سير أعلام النبلاء، جـ١٩، ص٤٩. طاش كبرى زاده: طبقات الفقهاء، ص٨٦. القرشى: الجواهر المضية، جـ٤، ص٩٩، ٩٨. اللكنوى: الفوائد البهية، ص١٢٥. بلقاس الغالى: أبو منصور الماتريدى، توبس، ١٩٨٩، ص١٩. ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در ايران، جلد دوم، ص٢٦٣. الزركلى: الأعلام، جـ٧، ص٢٢. موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، جـ٣، ص٤١٠.

وفضله وحرمته[1]. ومحمد بن عبد المنعم بن حسن بن انس السمرقندى بن الفقيه (ت٥١٠هـ/١١١٦م) من كبار الفقهاء، تفقه على السيد أبى شجاع بن حمزة العلوى، سمع أبا عمارة بن أحمد، وروى عنه عمر النسفى[2].

وكان الفقيه شمس الأئمة أبو الفضل بكر بن محمد الأنصارى الجابرى (ت٥١٢هـ/ ١١١٨م) شيخ الحنفية ببلاد ما وراء النهر وعالم تلك الديار، وكان يضرب به المثل فى حفظ مذهب الإمام الأعظم أبى حنيفة، حتى سمى أبا حنيفة الأصغر، وكان تلميذ أبى محمد عبد العزيز الحلوانى[3]. وقاضى القضاة أبو بكر محمود بن مسعود بن عبد الحميد الشعيبى البوزجندى (ت٥١٤هـ/ ١١٢٠م) نزيل سمرقند، قال النسفى: كان إماما فاضلا مفتيا مناظرا متميزا، تفقه على شمس الأئمة السرخسى[4].

وكذلك كان الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن فاعل السرخكثى الفقيه الحنفى (ت٥١٨هـ / ١١٢٤م) من الفقهاء البارزين، تفقه بسمرقند ثم ببخارى وكانت له يد قوية فى النظر وباع طويل، وكان من مناظرى البرهان وخصومه ببخارى، سمع أبا المعالى محمد بن محمد بن زيد الحسينى، وروى عنه كثيرون[5]. وأبو المؤيد محمد بن عبد الخالق بن محمد القاضى بن أبى

---

(١) ابن الاثير: الكامل فى التاريخ، جـ٩، ص١٤٢. ابن الجوزى: المنتظم، جـ٩، ص١٦٧، ١٦٨. ابن الصلاح الشهرزورى: طبقات الفقهاء الشافعية، جـ٢، ص٧٢٣. ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٢، ص١٧٢. عبد المجيد بدوى: التاريخ السياسى والفكرى، ص١٩٠.

(٢) الذهبى: تاريخ الإسلام، جـ٣٥، ص ٢٥٥، ٢٥٦.

(٣) الصفدى: الوافى بالوفيات، جـ١٠، ٢١٨، ٢١٧. اليافعى: مرآة الجنان، جـ٣، ص٢٠٣.

(٤) القرشى: المصدر نفسه، جـ٣، ص٤٥١. النسفى: القند فى ذكر علماء سمرقند، ص٧٠٤.

(٥) ابن الاثير: اللباب فى تهذيب الأنساب، جـ٢، ص١١٣. السمعانى: الأنساب، جـ٣، ص٢٤٥. القرشى: الجواهر المضية، جـ٣، ص ١٩١، ١٩٢ إسماعيل باشا البغدادى: هدية العارفين، جـ٢، ص٨٤.

بكر (ت٥٢٠هـ/١١٢٦م) كان من علماء الفقه البارزين، ولى قضاء سمرقند أكثر من ثلاثين سنة، وكان من خيار الحنفية وكان أبوه مستملى شمس الأئمة الحلوانى[١].

ويعد الفقيه الحنفى ركن الدين مسعود بن الحسين بن الحسن بن إبراهيم الكشانى السغدى السمرقندى (ت٥٢٠هـ/١١٢٦م) من أشهر الفقهاء، كان إماما عالما يرجع إليه فى النوازل، تفقه على شمس الأئمة السرخسى، له شرح الجامع الصغير للشيبانى فى الفروع، مختصر المسعودى فى الفروع[٢]. والحسين بن على بن أبى القاسم اللامشى السمرقندى الحنفى (ت٥٢٢هـ/١١٢٨م) كان إماما فاضلا متدينا يضرب به المثل فى النظر وعلم الخلاف، وكان على طريقة السلف من طرح التكلف والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، كان يدخل على الملوك ويقول الحق فى وجوههم. تفقه على السيد أبى شجاع العلوى، وسمع الحديث من الحافظ عبد الرحمن بن عبد الرحيم القصار، وأبى على الحسين بن عبد الملك النسفى، قدم رسولا من خاقان سمرقند إلى دار الخلافة[٣].

وكان أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن طاهرعرف بكاك

---

(١) الذهبى: تاريخ الإسلام، جـ٣٥، ص٤٤٥.

(٢) اللكنوى: الفوائد البهية، ص٢١٣. إسماعيل باشا البغدادى: المرجع نفسه، جـ٢، ص٤٢٨.

(٣) ابن الاثير: المصدر نفسه، جـ٣، ص٤٠٢. الذهبى: المشتبه فى الرجال، جـ٢، ص٦٦٣. ابن فضل الله العمرى: مسالك الأبصار، جـ٦، ص ١٠٠، ١٠١. سبط بن الجوزى: مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان، القسم١، جـ٨، ص١٢٧. السمعانى: المصدر نفسه، جـ٥، ص٦٧١. السمعانى: التحبير فى المعجم الكبير، جـ١، ٢٣٤ - ٢٣٦. أبو عبد الله الدمشقى الصالحى: طبقات أصحاب الحديث، جـ٤، ص٤٤. ابن الفوطى: مجمع الآداب، مج٢، ص٥٨ ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٢، ص١٩٩.

(ت٥٢٥هـ/ ١١٣٠م) من أهل بخارى، من أشهر الفقهاء، كان إماما لأصحاب أبى حنيفة، رحل فى طلب العلم إلى بغداد ومكة وسمرقند والرى[١]. كما كان أبو الفتح ميمون بن محمد بن عبد الله بن بكر الدبوسى (ت٥٣٠هـ/ ١١٣٥م) فقيها مجودا من الفقهاء الشافعية، تفقه على أبى المظفر السمعانى ومحمد بن عبد الرحمن السرخسى، وسمع منهما الحديث، سمع منه أبو سعد السمعانى. وابنه أبو القاسم محمود بن ميمون الدبوسى الفقيه الشافعى (ت٥٣٠هـ/ ١١٣٥م) كان فقيها فاضلا، تفقه هو وأبو سعد السمعانى مشتركين فى الدرس وسمعا الحديث من أبى عبد الله الفراوى وأبى المظفر عبد المنعم بن أبى القاسم[٢]. والإمام الفقيه أبو على الحسين بن الخليل ابن أحمد بن محمد النسفى (ت٥٣٣هـ/ ١١٣٨م) نزيل سمرقند، رحل فى طلب العلم إلى بلدان العالم الإسلامى، فتفقه ببخارى على الخطاب محمد بن إبراهيم الكعبى القاضى، وببلخ على الإمام أبى حامد الشجاعى، ودخل بغداد حاجا وحدث بها عن البخارى من الحسن بن على الحمادى، وكان له يد باسطة فى النظر[٣].

ومن الفقهاء المشهورين أبو الحسن على بن محمد بن إسماعيل بن على الإمام السمرقندى المعروف بشيخ الإسلام الاسبيجابى (ت٥٣٥هـ/ ١١٤٠م) كان من أئمة الفقهاء الحنفية، ولم يكن أحد يحفظ مذهب أبى حنيفة ويعرفه مثله فى عصره، تفقه عليه جماعة منهم صاحب الهداية على بن أبى بكر الفرغانى. وعمر فى نشر العلم وسماع الحديث، له كتاب المبسوط كما قام بشرح مختصر الطحاوى فى فروع الحنفية[٤] للإمام أبى جعفر أحمد بن

---

(١) القرشى: المصدر نفسه، جـ٣، ص٢٨٣.

(٢) ابن الأثير: اللباب فى تهذيب الأنساب، جـ١، ص٤٩٠.

(٣) تقى الدين التميمى: الطبقات السنية، جـ١، ص١٣٢.

(٤) القارى: طبقات الحنفية، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، ص٣٨. الذهبى: تاريخ=

محمد الطحاوى الحنفى (ت٣١٢هـ/ ٩٢٤م) ورتبه كترتيب المزنى وجمع فى كتابه أصناف الفقه التى لا يسع الإنسان جهلها وبين الإجابة عنها من قول أبى حنيفة[١]. وأبو إسحاق محمد بن منصور بن مخلص بن إسماعيل الحاكم النوقدى الإمام الزاهد صائم الدهر (ت٥٣٥هـ/ ١١٤٠ م) من كبار الفقهاء، قال عنه السمعانى: " المدرس المفتى بسمرقند تفقه عليه أبو يعقوب يوسف بن منصور بن إبراهيم السيارى، وروى عن القاضى أبى اليسر محمد بن محمد ابن الحسين البزدوى[٢].

كما كان برهان الأئمة أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن عمر بن مازة المعروف بالصدر الشهيد (ت٥٣٦هـ/ ١١٤١م) من أكابر الحنفية ببلاد ما وراء النهر، تفقه على أبيه وبرع فى المذهب واجتهد إلى أن صار أوحد عصره فى علم النظر، وحاز قصب السبق على أقرانه، وناظر الخصوم والكبار بخراسان والعراق، وارتفع أمره ببلاد ما وراء النهر إلى أن صار السلطان يصدر عن رأيه ويتلقى إشارته بالقبول، وعاش فى حرمة وافرة إلى أن رزقه الله الشهادة فى معركة قطوان بسمرقند[٣] ومن أهم تصانيفه: الجامع الصغير، كتاب المطول،

=الإسلام، جـ٣٦، ص٣٨٥. طاش كبرى زاده: طبقات الفقهاء، ص٩٦. طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة، جـ٢، ص٢٧٦. ابن قطلوبغا: تاج التراجم، ص٤٤، ٤٥. اللكنوى: الفوائد البهية، ص١٢٤ إسماعيل باشا البغدادى: هدية العارفين، جـ١، ص٦٩٧ .الزركلى: ترتيب الأعلام على الأعوام،مج١، ص٣٦٣. عمر رضا كحاله: معجم المؤلفين، مج٢، ص٤٩٥.

(١) حاجى خليفة: كشف الظنون، جـ٢، ص١٦٢٧ .السمعانى: التحبير فى المعجم الكبير، جـ١، ص ٥٧٨، ٥٧٩.

(٢) السمعانى: الأنساب، جـ٥، ص٥٣٨. القرشى: الجواهر المضية، جـ١، ص٣٧٣.

(٣) الأسنوى: طبقات الشافعية، جـ١، ص٢٠٨. الصفدى: الوافى بالوفيات، جـ٢٢، ص٥١٠. ابن الصلاح الشهرزورى: طبقات الفقهاء الشافعية، جـ٢، ص٨٢٢. ابن فضل الله العمرى: مسالك الابصار، جـ٦، ص١٠٢. ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات=

كتاب الفتاوى الصغرى، كتاب الفتاوى الكبرى، الواقعات الحسامية فى مذهب الحنفية، حالات وأحكام فقهية مقسمة على الأبواب المألوفة للفروع، كتاب عمدة الفتاوى، كتاب الفتاوى الخاصية، خبرات الفقهاء، شرح أدب القاضى للحصاف[1].

بدأ شأن هذه الأسرة يعلو فى أواسط العهد السلجوقى وبالأخص عندما قام السلطان سنجر بتزويج أخته لعبد العزيز بن عمر، وهو والد أبى حفص عمر وعينه على رئاسة القضاء فى بخارى، ومنحه لقب الصدر، وبعد وفاته انتقل مقام الصدر إلى نسله من بعده، ويبدو أن هذه الأسرة قدمت خدمات جليلة للسلاجقة الكبار فى بلاد ما وراء النهر، ومن ثم نالت منهم الألقاب والوظيفة والمكانة، وارتبطت هذه الأسرة بالخانية التركية القائمة فى سمرقند[2].

ويعد أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن على بن لقمان النسفى السمرقندى (ت٥٣٧هـ/ ١١٤٢م) من كبار علماء الفقه، صنف فى كل نوع من العلم، ومن أجل تصنيفاته فى الفقه المنظومة: وهى فتاواه التى أجاب بها عن جميع ما سئل عنه فى أيامه خلاف ما جمعه لغيره، وكتاب المواقيت، وكتاب العقائد النسفية، وكتاب طلبة الطلبة فى الاصطلاحات الفقهية، وكتاب نظم الجامع الصغير فى فقه الحنفية، وكتاب قيد الأوابد[3].

=در إيران، جلد دوم، ص٥٩. محمد محروس عبد اللطيف: مشايخ بلخ من الحنفية وما انفردوا به من المسائل الفقهية، جـ١، الدار العربية للطباعة، بغداد، ١٩٧٧، ص٢٢١.

(١) بروكلمان: تاريخ الأدب العربى، جـ٦، ص٢٩٤. الزركلى: الأعلام، جـ٥، ص٥١.

(٢) شاكر مصطفى: موسوعة دول العالم الإسلامى، جـ٢، ص ٨٩٥، ٨٩٦. موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، جـ٣، ص٣٧٣.

(٣) حاجى خليفة: كشف الظنون، جـ٢، ص١٢٣٠. الذهبى: العبر فى خبر من غبر،=

وكان أبو بكر علاء الدين محمد بن أحمد بن أبى أحمد السمرقندى (ت٥٣٩هـ/ ١١٤٤م) من مشاهير فقهاء الحنفية فى عهده، شيخ كبير فاضل جليل القدر، تفقه على أبى المعين ميمون المكحولى، وعلى صدر الإسلام أبى اليسر البزدوى، تفقهت عليه ابنته فاطمة، ومن مؤلفاته تحفة الفقهاء فى الفروع زاد فيها على مختصر القدورى ورتب أحسن ترتيب، وصنف تلميذه الإمام أبو بكر بن مسعود الكاسانى شرحا عظيما فى ثلاثة مجلدات وسماه بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع، ولما أتمه عرضه على المصنف فاستحسنه واعتبره مهرا لابنته فاطمة الفقيهة، فقيل شرح تحفته وتزوج ابنته(١).

والتحفة حلقة هامة فى سلسلة كتب الفقه الإسلامى فهى واسطة العقد بين البدائع وبين ما سبقها من كتب عظيمة، والتحفة كتاب سهل العبارة قريب المنال يمتاز بالتقسيم والترتيب، فهو كتاب علمى عملى وسط سهل مرتب. والتحفة تتصل اتصالا ظاهرا بكتابين: أحدهما مختصر القدورى،

=جـ٢، ص٤٥٢. سعيد نفيسى: تاريخ نظم ونثر در إيران، جلد أول، ص١٢٢. طاش كبرى زاده: طبقات الفقهاء، ص٩٢. عماد الدين الأصفهانى: خريدة القصر وجريدة العصر، جـ٢، ص١٢٠. اللكنوى: الفوائد البهية، ص ١٤٩، ١٥٠. المدنى: تحفة الأدباء وسلوة الغرباء، تحقيق رجاء محمود السامرائى، جـ١، ١٩٩٣، ص٤.. النسفى: العقائد النسفية، ص٩. ذبيح الله صفا: المرجع نفسه، جلد دوم، ص٩٤٧. الزركلى: المرجع نفسه، جـ٥، ص٦٠. قيس آل قيس: الإيرانيون والأدب العربى، مج١، ص٢٨٧، ٢٨٨.

(١) الزركشى: تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكى، جـ١، ص٢٨٧. الشاشى القفال: حلية العلماء فى معرفة مذاهب الفقهاء، جـ١، ص٧١. طاش كبرى زاده: طبقات الفقهاء، ص٨٥، ٩٥. القرشى: الجواهر المضية، جـ٤، ص٢٤. أبو الليث السمرقندى: خزانة الفقه وعيون المسالك، مج١،ص٦. اللكنوى: الفوائد البهية، ص١٥٨. الزركلى: الأعلام، جـ٥، ص٣١٧، ٣١٨. عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، مج٣، ص٤٦.

والثانى بدائع الكاسانى. أما صلتها بمختصر القدورى كما عبر عنها صاحب التحفة": أنه ألفها لأن ذلك المختصر شديد الإيجاز" فهو قصد بالتحفة أن تسد فراغا لم يسده المختصر، من حيث المادة ومن حيث الدليل، وهى بذلك حوت ما فى المختصر، وتمتاز على المختصر بالترتيب والتقسيم، كما قال صاحب التحفة نفسه: "اعلم أن المختصر المنسوب إلى الشيخ أبى الحسين القدورى جامع جملا من الفقه مستعملة بحيث لا تراها مدى الدهر مهملة يهدى بها الرائض فى أكثر الحوادث والنوازل ويرتقى بها المرتاض إلى أعلى المراقى و المنازل، ولما عمت رغبة الفقهاء إلى هذا الكتاب، طلب منى بعضهم، من الإخوان والأصحاب، أن أذكر فيه بعض ما ترك المصنف من أقسام المسائل وأوضح المشكلات منه، بقوى من الدلائل، ليكون ذريعة إلى تضعيف الفائدة بالتقسيم والتفصيل، ووسيلة بذكر الدليل إلى تخريج ذوى التحصيل، فأسرعت فى الإسعاف والإجابة، رجاء التوفيق من الله فى الإتمام والإصابة"[1].

وأما صلتها بالبدائع فمعروفة مشهورة صيغت فى عبارة جميلة هى" شرح تحفته وتزوج ابنته"[2] على أن القول بأن البدائع شرح التحفة يحتاج إلى بيان، ذلك أن صاحب البدائع لم يتخذ متنا فيشرحه عبارة عبارة ولا تفصيلا بل إنه رتبه ترتيبا جديدا، سار به بالصنعة الفقهية إلى الأمام ولكنه حافظ على ألفاظ التحفة بحيث يجد الباحث التحفة فى البدائع بلفظها لكن بترتيب آخر[3].

يتضح من القصة التى أسلفنا ذكرها عن تزويج ابنته فاطمة لعلاء الدين

---

(١) علاء الدين السمرقندى: تحفة الفقهاء، تحقيق محمد زكى عبد البر، جـ١، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٥٨، ص ٢٢، ٢٣.

(٢) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج١، ص٣٧١. ابن قطلوبغا: تاج التراجم، ص٢٩٤.

(٣) علاء الدين السمرقندى: تحفة الفقهاء، جـ١، ص ٢٣، ٢٤.

الكاسانى ما يدل على أخلاق السمرقندى، فقد آثر لابنته العلم على الإمارة، ورجل هذا شأنه لابد من أن يكـون على جانب كبـير جدا من النفس العـالية والإيمان العميق والتعلق الشديد بالأنفس[1].

ومن علماء الفقه البارزين القاضى ظهير الدين أبو الفتح عبد الرشيد بن أبى حنيفة بن عـبد الرزاق بن عبد الله الولوالجى الطخـارستانى (ت٥٤٠هـ/ ١١٤٥م) سكن سمرقند، واخـتص بأبى محمد القطوانى، كان إمـاما فاضلا حسن السيرة، رحل فى طلب العلم إلى كش وبخارى وتفقه بها على البرهان، وكتب الأمـالى فى الفقه والفـتاوى[2]. وأبو القاسم ناصـر الدين بن يوسف السمرقندى الحسينى المدينى، من أشهر فقهاء الحنفية، ومن تصانيفه الملتقط فى الفتاوى أتمه إملاء سنة (٥٤٩هـ/ ١١٥٤م) والقانون المنشـور وكلاهما فى الفقه الحنفى[3].

وأبو المحامد محـمود بن أحمد بن على بن الفرج السمـرقندى السغدى (ت٥٥٠هـ/ ١١٥٥م) كان إمامـا بارعا فى الفقه والـتفسير والحـديث والمتفق والمختلف والوعظ، سمع يوسف بن صالح والحـسن بن عطاء السغدى، صار شيخ الإسلام بسـمرقند، وكان حسن السـيرة كثيـر الخير والعبـادة، قرأ عليه السمعانى تنبيه الغافلين بروايته عن أبى إبراهيم إسحاق ابن محمد النوحى عن سبط الترمذى عن مؤلفه[4]. وكذلك كان أبو نصر أحمـد بن محمد بن عبد

---

(١) علاء الدين السمرقندى: المصدر نفسه، جـ١، ص٢٢.

(٢) القرشى: الجواهر المضية، جـ٢، ص٤١٧، ٤١٨. ابن قطلوبغا: المصدر نفسه، ص٣٤، ٣٥. إسماعيل باشا البغدادى: هدية العارفين، جـ١، ص٥٦٨.

(٣) الذهبى: تاريخ الإسلام، جـ٣٧، ص٤٢٠ القرشى: المصـدر نفسه، جـ١، ص١١٨. ابن قطلوبغا: المصدر نفسه، ص ٨٩. بروكلمان: تاريخ الأدب العربى، جـ٦، ص٣٥١. عمر رضا كحاله: معجم المؤلفين، مج٢، ص٦٥٦.

(٤) الداودى: طبقات المفسرين، جـ٢، ص٣٠٩. الذهبى: المصدر نفسه، جـ٣٧، ص٤٣٤.

الجليل بن إسماعيل الفقيه السمرقندى الأبريسمى (ت٥٥٠هـ/ ١١٥٥م) من كبار الفقهاء، تفقه بسمرقند وسمع تنبيه الغافلين لأبى الليث من الإمام إسحاق بن محمد النوحى[١]. وكان القاضى أبو الحسن على عفان بن على ابن الفضل بن زكريا بن خالد بن زيد بن كليب الماتريدى السمرقندى (ت٥٥١هـ/ ١١٥٦م) سبط شيخ الإسلام أبى منصور الماتريدى، كان من أبرز الفقهاء، تفقه على جده لأمه[٢].

كما كان أبو الفتح محمد بن عبد الحميد بن الحسين بن الحسن بن حمزة الأسمندى السمرقندى (ت٥٥٢هـ/ ١١٥٧م) من أئمة علماء الفقه، درس الفقه الحنفى والمناظرة، وصار من فحول الفقهاء من أصحاب أبى حنيفة، تفقه على السيد الإمام الأشرف، وكان حسن العبارة، له تعليقة مشهورة فى مجلدات، وألف مختلف الرواية فى الفقه، وكتاب شرح عيون المسائل لأبى الليث وسماه حصر المسائل وقصر الدلائل فى مجلد، شرح الجامع الكبير للشيبانى فى الفروع، وله الفتاوى الصغرى والكبرى. رحل إلى بغداد وبصحبته الشمس ابن الحسام بن البرهان، وناظر علماءها، وحدث بها عن عمر بن عبد العزيز بن مازه البخارى. روى عنه السمعانى[٣].

---

(١) القرشى: الجواهر المضية، جـ١، ص٢٩٠. تقى الدين التميمى: الطبقات السنية، جـ٢، ص٦٣.

(٢) القرشى: المصدر نفسه، جـ٢، ص٥٥٣.

(٣) الاسمندى: طريقة الخلاف فى الفقه بين الأئمة الاسلاف، تحقيق محمد زكى عبد البر، القاهرة، ص ٢٤، ٢٥. الداودى: طبقات المفسرين، جـ٢، ص١٧٧. السيوطى: طبقات المفسرين، ص٣٥. الصفدى: الوافى بالوفيات، جـ٣، ص٢١٨. ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، مج٤، جـ١، ص١٥. ابن فضل الله العمرى: مسالك الابصار فى ممالك الأمصار، جـ٦، ص١١٥. ابن الفوطى: مجمع الآداب، مج٢، ص٣٥٦، ٣٥٧. العسقلانى: لسان الميزان، جـ٥، ص٢٤٣. أبو الليث السمرقندى: خزانة الفقه، مج١، ص٢٧.

ويعد أبو الليث أحمد بن عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن على بن لقمان بن شيخ الإسلام أبى حفص النسفى يعرف بالمجد (ت٥٥٢هـ/ ١١٥٧م) من أشهر علماء الفقه من أهل سمرقند، تفقه على والده، واسمعه والده من جماعة من السمرقنديين والغرباء الواردين عليهم بسمرقند، وكان فقيهًا فاضلاً واعظًا قدم مرو متوجها إلى الحجاز، وأقام ببغداد شهرين ثم خرج متوجها إلى بلده، فلما وصل قومس خرج جماعة من أهل القلاع وقطعوا الطريق على القافلة وقتلوا مقتلة عظيمة من العلماء والعائدين من الحجاز وكان فيها المجد النسفى(١).

وكان إبراهيم بن يعقوب بن أبى النصر بن مدروسة الكشانى (ت٥٥٣هـ/ ١١٥٨م) فقيها فاضلا عارفا بمذهب أبى حنيفة وروايته، مفسرا، واعظا، حسن السيرة، سكن سمرقند وتولى الخطابة نيابة عن محمود بن أحمد الساغرجى، ولقب شيخ الإسلام بعد أن خرج منها، سمع بالكشانية أباه وبسمرقند أبا إبراهيم إسحاق بن محمد الخطيب النوحى(٢).

كما كان أبو المعالى محمد بن نصر بن محمد بن منصور بن على بن محمد بن محمد ابن يعلى بن الفضل الخطيب المدينى السمرقندى (ت٥٥٥هـ/ ١١٦٠م) من كبار الفقهاء، إماما زاهدا تفقه على الشيخين فخر الإسلام على بن محمد البزدوى وصدر الإسلام محمد بن محمد، قال السمعانى: سمعت منه فى داره بسمرقند، وكان شيخا مسنا، قيل إنه جاوز المائة(٣).

---

(١) تقى الدين التميمى: المصدر نفسه، جـ١، ص ٤١٦، ٤١٧. القرشى: المصدر نفسه، جـ١، ص٢٢٦، ٢٢٧. ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٢، ص٢٣٦. اللكنوى: الفوائد البهية، ص٢٩ عمر رضا كحاله: معجم المؤلفين، مج١، ص٢١٧.

(٢) تقى الدين التميمى الطبقات السنية، جـ١، ص٢٥٢. القرشى: الجواهر المضية، جـ١، ص١١٦، ١١٧.

(٣) السمعانى: الأنساب، جـ٥، ص٢٣٩. القرشى: المصدر نفسه، جـ٣، ص٣٧٨. علاء=

ويعد أبو القاسم ناصر الدين محمد بن يوسف محمد العلوى الحسينى المدنى السمرقندى المعروف بأبى القطن (ت٥٥٦هـ/ ١١٦٠م) من الفقهاء الحنفيين البارزين، كان عالمًا بالتفسير والحديث والوعظ، قيل قُتل صبرًا، صنف جامع الفتاوى ويسمى أيضا بالجامع الكبير، وكتاب خلاصة المفتى فى الفروع، وكتاب قانون فى الفروع، وكتاب مصابيح السبل مجلدان فى فروع الفقه، والمنثور فى الفروع، وكتاب الملتقط فى الفتاوى الحنفية ويسمى مآل الفتاوى، أتمه سنة (ت٥٤٩هـ/ ١١٥٤م) ثم نقله الشيخ الإمام الزاهد جلال الدين محمود بن الشيخ مجد الدين الحسين بن أحمد الاسروشنى من غير زيادة ولا نقصان عنه سنة (٦٠٥هـ/ ١٢٠٨م) باسروشنة وأملاه تماما فى سنة (٦١٦هـ/ ١٢١٩م)[1].

وأبو الحسن على بن مودود بن الحسين بن الحسن بن محمد بن إبراهيم بن العباس النظرى الكشانى (ت٥٥٧هـ/ ١١٦١م) كان إماما فقيها مناظرا، تفقه على عمه مسعود بن الحسين صاحب المختصر المسعودى ببخارى، ثم على البرهان عبد العزيز بن عمر بن مازه، ثم بمرو على القاضى محمد بن الحسين الارسابندى، وكان حسن السيرة متواضعا كثير التلاوة للقرآن حافظا له، سكن سمرقند وولى الخطابة بها مدة غير طويلة أملى ودرس، روى عن أبى القاسم عبيد الله بن عمر الخطيب وأبى نصر محمد بن الحسين الباهلى

=الدين السمرقندى: تحفة الفقهاء، جـ١، ص١٦. علاء الدين السمرقندى: ميزان الأصول فى نتائج العقول، ص١٥م.

(١) حاجى خليفة: كشف الظنون، جـ٢، ص١٨١٣. الداودى: طبقات المفسرين، جـ٢، ص ٢٩١، ٢٩٢. علاء الدين السمرقندى: تحفة الفقهاء، جـ١، ص١٧. القرشى: المصدر نفسه، جـ٤، ص٧٨، ٧٩. اللكنوى: الفوائد البهية، ص٢١٩، ٢٢٠. إسماعيل باشا البغدادى: هدية العارفين، جـ٢، ص٩٤. الزركلى: الأعلام، جـ٧، ص١٤٩. عمر رضا كحاله: معجم المؤلفين، مج٣، ص٧٨٩.

الكشانيين، ثم رحل إلى مرو وسكنها مدة، وولى التدريس بالمدرسة الخاقانية، وتفقه عليه جماعة، كثيرة، كتب الأمالى عن مشايخ بخارى[1].

ومن علماء الفقه الكبار الشيخ ركن الإسلام محمد بن أبى بكر السمرقندى (ت٥٧٣هـ / ١١٧٧م) كان واعظا فاضلا، له شرعة الإسلام إلى دار السلام، فى واحد وستين فصلا، ألفه لتهذيب أطفال أهل الإيمان، وقد وصفه فى بعض كلامه" إنه أول ما يلقن به أطفال أهل الإيمان، وأحق ما يتحفظه أهل الإيمان بل لا مندوحة دونه لسالك سبيل الهدى كيلا يتردى به الهوى فى هوة الردى" والظاهر أن المؤلف قصد بهذا الكتاب أن ينتفع به أعقابه ويتخذوه دليلا ومرشدا، فقال فى مقدمة الكتاب" والمأول من فضل الكريم الوهاب أن يبارك لى لمن أخلفه من الأعقاب بما أودعته هذا الكتاب، إنه ولى الإجابة والإيجاب وإليه المصير والمآب".

لكن الكتاب أصبح مرجعا للعامة والخواص ودليلا موجها لمن أراد أن يهتدى فى حياته بهدى الكتاب والسنة وهدى الرسول ﷺ فى العادات والتقاليد والعبادات والأحكام والمعاملات، فذكر ما ثبت بالسنة من عقائد الدين وملة الإسلام ينهج فى ذلك نهج السلف، فجاء كقانون ودستور للحياة فى العقائد والأعمال والأخلاق. وتعرض فى الكتاب لعلم أخلاق الدين وأخلاق العلماء وذكر آداب المتعلم وحقوق المعلم، وفى الكتاب فصول فى بيان الأحكام العملية فى حياة المسلم، وقد ذكر فيها بعض ما لا يدخل فى أبواب الفقه والأحكام من الوصايا والتجارب وفصول فى الفضائل والأدعية والأذكار. لعل من خصائص هذا الكتاب ما جاء فى الفصل الثامن والثلاثين

---

(١) الذهبى: تاريخ الإسلام، جـ٣٨، ص٢٣٤. السمعانى: التحبير فى المعجم الكبير، جـ١، ص٥٩٢، ٥٩٣. القرشى: الجواهر المضية، جـ٢، ص٦١٦، ٦١٧. اللكنوى: الفوائد البهية، ص١٣٨، ١٣٩. ناجى معروف: علماء النظاميات، ص١٠٢.

من سنن البناء والمسكن، أردف كل ذلك من الآداب فى الحياة اليومية والعادات البشرية والأخلاق الإسلامية، وفى الكتاب فضائل بعض الأطعمة والفواكه والأشربة[1].

وكان أبو محمد سراج الدين على عثمان الاوشى الفرغانى (ت٥٧٥هـ / ١١٧٩م) من أئمة علماء الفقه، بدأ التعليم فى بلده أوش وتحدث عن شيخ الإسلام نصير الدين أبى بكر بن أبى عبد الله محمد بن سليمان الاوشى، وسمع منه طبقات أبى بكر محمد الطوسى ثم جمع من مروياته مسند مالك ابن أنس بإسناد واحد ثم رحل إلى سمرقند، فدرس بها العلوم الشرعية على إمامين جليلين من علماء الحنفية أحدهما العالم محمد بن عبد الحميد الاسمندى، وسمع منه جامع الترمذى إجازة، والثانى السيد الشريف ناصر الدين أبو القاسم محمد بن يوسف بن محمد العلوى الحسنى السمرقندى الذى سمع منه كتاب الإقناع للمروزى وروضة العلماء للزندوستى وغريب الحديث لأبى عبيد، وكذلك سمع وتفقه على الأئمة والقضاة المشهورين بالعلم والتقوى والسيادة والأدب من علماء ما وراء النهر أصول السنة والجماعة اعتقادا وعملا على مذهب الإمام الأعظم أبى حنيفة والإمام علم الهدى أبى منصور الماتريدى، وصار إماما ومفتيا يدرس العلوم ويعظ الناس ويفتيهم، وتتلمذ عليه طلاب العلم منهم القاضى الإمام أبو نصر أحمد بن محمد بن عمر العتابى البخارى الذى أخذ الإجازة منه، صنف سراج الدين الاوشى فى أصول الدين والحديث والفقه[2].

تجدر الإشارة هنا إلى أنه كان للنساء مشاركة فعالة فى ميدان العلوم الدينية حيث ظهر فى هذا العصر عالمات أسهمن فى تقدم علم الفقه، فكانت

---

(١) ركن الإسلام محمد بن أبى بكر السمرقندى: شرعة الإسلام إلى دار السلام، ص٢٦، ٢٧م. الزركلى: الأعلام، جـ٦، ص٥٤.

(٢) هشام نشابه: موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، جـ٢، ص٥٦٣، ٥٦٤.

فاطمة بنت محمد بن أحمد السمرقندى مؤلف التحفة (ت٥٧٦هـ/ ١١٨٠م) عالمة فاضلة فقيهة محدثة ذات خط جميل، تفقهت على أبيها وحفظت التحفة، وكانت تنقل المذهب نقلا جيدا، تلقت العلم عن جملة من الفقهاء وأخذ عنها كثيرون وتصدرت للتدريس وألفت مؤلفات عديدة فى الفقه والحديث وعاصرت الملك العادل نور الدين الشهيد واستشارها فى بعض أموره الداخلية وسألها عن بعض المسائل الفقهية وأنعم عليها، وكان زوجها الكاسانى ربما يخطأ فى الفتيا فترده إلى الصواب وتعرفه وجه الخطأ فيرجع إلى قولها، وكانت تفتى وكان زوجها يحترمها ويكرمها، وكانت الفتوى أولا تخرج وعليها خطها وخط أبيها، فلما تزوجت بالكاسانى صاحب البدائع صارت الفتوى تخرج بخط الثلاثة.

أما قصة زواجها بالكاسانى فهى أن جماعة من ملوك بلاد الروم طلبوها من والدها وكانت حُسْنَى النساء فى عصرها فامتنع والدها، فجاء الكاسانى ولزم والدها واشتغل عليه وبرع فى علوم الأصول والفروع، وصنف كتاب البدائع، وهو شرح التحفة وعرضه على شيخه فازداد فرحًا به وزوجه ابنته وجعل مهرها منه ذلك، فقال الفقهاء فى عصره: شرح تحفته وزوجه ابنته، وقال أحد فقهاء الحلاوية بحلب: هى التى سنت الفطر فى رمضان للفقهاء بالحلاوية، فكان بيديها سواران فأخرجتهما وباعتهما وعملت بالثمن الفطور كل ليلة واستمر على ذلك إلى اليوم[1].

كان أبو بكر مسعود بن أحمد الكاسانى علاء الدين ملك العلماء (ت٥٨٧هـ/ ١١٩١م) من أئمة الحنفية، صاحب كتاب بدائع الصنائع، تفقه على علاء الدين محمد بن أحمد بن أبى أحمد السمرقندى، وتزوج ابنته فاطمة الفقيهة من أجل أنه شرح كتاب التحفة للسمرقندى، وسماه البدائع

(١) طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة، جـ٢، ص ٣٧٣، ٣٧٤. القرشى: الجواهر المضية، جـ٤، ص١٢٠ - ١٢٣. عمر رضا كحالة: أعلام النساء، جـ٤، ص ٩٤، ٩٥.

فجعله مهر ابنته، ويحكى المؤرخون أن الكاسانى وزوجته ووالدها كانوا يفتون فى عصره وكان كل واحد من هؤلاء الثلاثة يفتى فى بيت واحد[1].

أقام الكاسانى ببلاد الروم وحدث أن تناظر هو وبعض الفقهاء " فى مسألة المجتهدين هل هما مصيبان أم أحدهما مخطئ؟ فقال الكاسانى: لا بل الصحيح عن أبى حنيفة أن أحد المجتهدين مصيب والأخر مخطئ والحق فى جهة واحدة، وما تقوله هو مذهب المعتزلة وجرى بينهما كلام فى ذلك، فرفع الكاسانى على ذلك الفقيه المقرعة فتأذى ملك الروم، وقال لوزيره: هذا افتات على الفقيه فاصرفه عنا، فقال الوزير: هذا الرجل شيخ العلم، وله حرمة وافرة ولا ينبغى أن نصرفه، بل تنفذه رسولا إلى نور الدين محمود بن زنكى ونتخلص منه بهذه الطريقة، ولما قدم حلب ولاه نور الدين تدريس الحلاوية بعد وفاة الرضى السرخسى، وتلقاه الفقهاء وكانوا فى غيبته يبسطون له السجادة ويجلسون حولها فى كل يوم إلى أن يقدم.

صنف الكاسانى كتاب بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع رتبه ترتيبًا حسنًا وأوضح مشكلاته بذكر الدلائل فى جميع المسائل، ومنها كتابه السلطان المبين فى أصول الدين، وسماه المعتمد فى المعتقد، وكتاب ندرة أصحاب الإمام أبى حنيفة فى الزمن الأخير، وكان مواظبا على ذكر الدرس ونشر العلم[2].

---

(١) طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة، جـ٢، ص٢٧٤، ٢٧٣. ابن العديم: بغية الطلب فى تاريخ حلب، جـ١٠، ص ٤٣٤٧، ٤٣٤٨. علاء الدين السمرقندى: ميزان الأصول فى نتائج العقول، ص١٢م. ابن قطلوبغا: تاج التراجم، ص٨٤ .

(٢) ابن العديم: المصدر نفسه، جـ١٠، ص ٤٣٤٧، ٤٣٤٨ ابن فضل الله العمرى: مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار، جـ٦، ص١١٩، ١٢٠. الكاسانى: بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع، تحقيق أحمد مختار عثمان، مطبعة العاصمة، القاهرة، ١٩٧١م، ص٧٧، ٧٨. اللكنوى: الفوائد البهية، ص٥٣. بروكلمان: تاريخ الأدب العربى، جـ٦، ص٣٠٦، ٣٠٧.

كما كان الإمام برهان الدين أبو الحسن على بن أبى بكر بن عبد الجليل الفرغانى المرغينانى السمرقندى صاحب الهداية (ت٥٩٣هـ/ ١١٩٦م) إماما فقيها حافظا محدثا مفسرا جامعا للعلوم ضابطا للفنون، تفقه على الأئمة المشهورين منهم مفتى الثقلين نجم الدين أبو حفص عمر النسفى والإمام الصدر الشهيد حسام الدين عمر بن عبد العزيز، والإمام ضياء الدين محمد ابن الحسين البندنيجى تلميذ صاحب التحفة علاء الدين السمرقندى، وتفقه عليه ابنه عمر بن على أبو حفص، وابنه الآخر محمد بن على بن أبى بكر الإمام الملقب عماد الدين، رحل إليه العلماء من أرجاء العالم الإسلامى(١). له مؤلفات عديدة منها كتاب البداية، وكتاب مجموع النوازل، وكتاب كفاية المنتهى ومناسك الحج، وكتاب الهداية جمع فيه بين عيون الرواية ومتون الدراية، وافتتح تأليفه سنة (٥٧٣هـ/ ١١٧٧م) وهو مقبول بين الأنام من الخواص والعوام، وقد بقى صاحب الهداية فى تصنيفه ثلاث عشرة سنة، وكان صائما فى تلك المدة لا يفطر أصلا(٢).

قُسم أصحاب الحنفية على خمس طبقات: الأولى: طبقة المجتهدين فى المذهب القادرين على استخراج الأحكام من القواعد التى قررها الإمام. الثانية: طبقة المجتهدين فى المسائل التى لا رواية فيها عن صاحب المذهب أمثال الطحاوى والبزدوى، وهم لا يقدرون على مخالفة إمامهم فى الفروع والأصول لكنهم يستنبطون الأحكام التى لا رواية فيها على حسب الأصول. والثالثة: طبقة أصحاب التخريج القادرين على تفصيل قول مجمل وتكميل

---

(١) الاسمندى: طريقة الخلاف فى الفقه بين الأئمة الأسلاف، ص٢٦. برهان الدين المرغينانى: الهداية شرح بداية المبتدى، تحقيق محمد محمد تامر وحافظ عاشور، مج١، القاهرة، ٢٠٠٠، ص٨.

(٢) برهان الدين المرغينانى: المصدر نفسه، مج١، ص٩. الذهبى: سير أعلام النبلاء، جـ٢١، ص٢٣٢

قول محتمل من دون قدرة على الاجتهاد. الرابعة: طبقة أصحاب الترجيح كصاحب الهداية، القادرين على تفضيل بعض الروايات على بعض بحس الدراية. الخامسة: طبقة المقلدين الذين لا يفرقون بين اليمين والشمال[1].

وكان افتخار الدين أبو هاشم عبد المطلب بن الفضل بن عبد المطلب بن الحسين بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح القرشى الهاشمى البلخى الحنفى (٦١٦هـ/ ١٢١٩م) من علماء الفقه الكبار، تفقه ببلاد ما وراء النهر وسمع بسمرقند وبلخ وأفتى وناظر، ومن تصانيفه شرح الجامع الكبير للشيبانى فى فروع الفقه الحنفى فى مجلدات[2]. وأبو الفتوح محمد بن محمد بن أحمد السمرقندى الفقيه الحنفى السمرقندى الأصل البغدادى المولد والدار (ت٦٢١هـ/ ١٢٢٤م) كان من فقهاء أصحاب أبى حنيفة، تفقه ببغداد، وسمع أبا الفتح محمد ابن عبد الباقى بن أحمد، وروى عنه ابن الدبيثى وابن النجار، وكان شيخا حسنا، فقيها فاضلا جميل الطريقة متدينا لازما لبيته قليل المخالطة للناس مشتغلا بنفسه[3].

كان حسام الدين محمد بن عثمان بن محمد العليابادى السمرقندى الحنفى (ت٦٢٨هـ / ١٢٣٠م) فقيها فاضلا، له من التصانيف كتاب فوائد فى الفقه، وكتاب كامل الفتاوى[4]. كذلك كان أبو الفضل جمال الدين عبيد الله ابن إبراهيم بن أحمد بن عبد الملك بن عمر الأنصارى العبادى المحبوبى السمرقندى (ت٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) شيخ الحنفية ببلاد ما وراء النهر، وأحد من

---

(١) برهان الدين المرغينانى: المصدر نفسه، مج١، ص١٠.

(٢) عمر رضا كحاله: معجم المؤلفين، مج٢، ص٣١٤.

(٣) الذهبى: تاريخ الإسلام، جـ٤٥، ص٧٧، ٧٦. الذهبى: المختصر المحتاج إليه للدبيثى، جـ١، ص١٣١. القرشى: الجواهر المضية، جـ٣، ص٣٤٢. المنذرى: التكملة لوفيات النقلة، مج٣، ١١٩.

(٤) إسماعيل باشا البغدادى: هدية العارفين، جـ٢، ص١١٢. عمر رضا كحاله: معجم المؤلفين، مج٣، ص٤٨٣.

انتهى إليهم المذهب، عديم النظير فى عصره، له تصانيف منها كتاب الفروق، وشرح الجامع الكبير، يعرف بأبى حنيفة الثانى[1].

فضلا عن العلامة فقيه المشرق شمس الأئمة أبو الوحدة محمد بن عبد الستار بن محمد العبادى الكردى الحنفى (ت٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م) أستاذ الأئمة على الإطلاق فى الفقه الحنفى. رحل إلى بلاد ما وراء النهر وسكن سمرقند، وتفقه على شيخ الإسلام برهان الدين أبى الحسن على بن أبى بكر بن عبد الجليل المرغينانى صاحب الهداية، والشيخ مجد الدين السمرقندى المعروف بإمام زاده وسمع الحديث منهما، وتفقه ببخارى على العلامة بدر الدين عمر ابن عبد الكريم الورسكى، وبرع فى معرفة المذهب[2].

صفوة القول ظهر عدد من كبار الفقهاء فى مدن إقليم الصغد فى العصر السلجوقى، وكانت الغالبية العظمى منهم من أتباع المذهب الحنفى، ولعل ذلك لأن الكتب التى كانوا يعولون عليها هى كتب محمد بن حسن الشيبانى (ت١٨٩هـ/ ٨٠٤م) ومن هذه الكتب، المبسوط، والجامع الكبير، والجامع الصغير، وكان أغلبها خاليا من التعليل، ومن ثم كان لبعض هؤلاء الفقهاء أبحاث رائعة، ودراسات جليلة فى هذا الشأن، كما أشارت المصادر إلى وجود عدد كبير من أتباع المذهب الشافعى، لكنه لم يصل إلى المذهب الحنفى. وهكذا صار المذهبان الحنفى والشافعى جنبا إلى جنب فى إقليم الصغد فى فترة الدراسة، فى حين أننا لم نجد أية إشارة إلى وجود فقهاء من مذاهب أخرى، وكثرت مصنفات ومؤلفات المذهبين سابقى الذكر ولا شك أن ذلك كان يمثل ثروة ثقافية لها شأنها فى بناء الفكر الإسلامى.

---

(١) الصفدى: الوافى بالوفيات، جـ١٩، ص٣٤٣. محمد بن الحسن الحجوى الثعالبى الفاسى: الفكر السامى فى تاريخ الفقه الإسلامى، مج٢، ص١٨٣.

(٢) الذهبى: سير أعلام النبلاء، جـ٢٣، ص ١١٢، ١١٣. القرشى: الجواهر المضية، جـ٣، ص٢٢٨، ٢٢٩.

خامساً: علم أصول الفقه

علم أصول الفقه اسم مركب من مضاف وهو الأصول ومضاف إليه وهو الفقه، ومعرفة المركب يحتاج إلى معرفة أجزائه ومفرداته[١]. والأصول جمع أصل، والأصل فى اللغة أسفل الشىء[٢]، والأصل ما يبنى عليه غيره[٣] سواء كان هذا البناء حسيا، كبناء السقف على الجدار أو معنويا كبناء الحكم على دليله، ويقال أصل الدار وأصل الحكم[٤]. وقيل ما يستند تحقق الشىء إليه[٥]. والأصول هى كل مسألة يتعين الحق فيها بين المتخاصمين. ومن المعلوم أن الدين إذا كان منقسما إلى معرفة وطاعة، فالمعرفة أصل والطاعة فرع، فمن تكلم فى الطاعة والشريعة كان فروعيا، ومن تكلم فى المعرفة والتوحيد كان أصوليا، وقال بعض العقلاء: "كل ما هو معقول ويتوصل إليه بالنظر والاستدلال فهو من الأصول، وكل ما هو مظنون ويتوصل إليه بالقياس والاجتهاد فهو من الفروع[٦].

وفى الاصطلاح يطلق على الدليل فأصول الفقه هى أدلة الفقه وجهات دلالاتها على الأحكام الشرعية، وكيفية حال المستدل بها من جهة الجملة لا من جهة التفصيل[٧]. أما الفقه فهو جملة العلم بالأحكام الشرعية العملية

---

(١) الحسين بن رشيق المالكى: لباب المحصول فى علم الأصول، جـ١، ص١٩١.

(٢) أبو المواهب اليوسفى: البدور اللوامع فى شرح جمع الجوامع فى أصول الفقه، ص١٤٩.

(٣) الجوينى: الورقات، ص٧. أبو المواهب اليوسفى: المصدر نفسه، جـ١، ص١٤٩.

(٤) حسين حامد حسان: أصول الفقه، ص٦.

(٥) الآمدى: الاحكام فى أصول الأحكام، جـ١، مطبعة المعارف، القاهرة، ١٩١٤، ص٨.

(٦) الشهرستانى: موسوعة الملل والنحل، بيروت، ١٩٨١م، ص٢٠، ١٩. علاء الدين السمرقندى: ميزان الأصول، ص٢.

(٧) الآمدى: المصدر نفسه، جـ١، ص٨. الغزالى: المستصفى من علم الأصول، تحقيق محمد سليمان الاشقر، جـ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٠، ص٣٦. الدومى الدمشقى: نزهة الخاطر العاطر. شرح كتاب روضة الناظر وجنة المناظر فى أصول الفقه، جـ١، دار الفكر العربى، ص٢٠.

المكتسبة من أدلتها التفصيلية[1]. وموضوع أصل الفقه هو معرفة الأدلة الشرعية ومراتبها وأحوالها[2] وأما غاية علم الأصول فالوصول إلى معرفة الأحكام الشرعية التى هى مناط السعادة الدنيوية والأخروية[3].

أما مصادر أصول الفقه فالمقصود بها الأدلة، والأصول التى بنيت عليها قواعده، وهى:

* استقراء نصوص الكتاب والسنة الصحيحة
* الآثار المروية عن الصحابة والتابعين
* إجماع السلف الصالح
* قواعد اللغة العربية
* الفطرة السوية والعقل السليم
* اجتهادات أهل العلم واستنباطاتهم وفق الضوابط الشرعية[4].

وعلم أصول الفقه عرفه البعض بأنه العلم بالقواعد التى يتوصل بها المجتهد إلى استنباط الأحكام الشرعية العملية من الأدلة التفصيلية[5]. وعرفه

---

(١) الجوينى: البرهان فى أصول الفقه، تحقيق عبد العظيم الديب، جـ١، ط٢ دار الأنصار، القاهرة، ١٤٠٠، ص٨٦. الجوينى: الورقات، ص٧. أمير عبد العزيز: أصول الفقه، مج١، القاهرة، ١٩٩٧، ص٢٤.

(٢) محمد بن حسين بن حسن الجيزانى: معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، ص٢٣.

(٣) الآمدى: المصدر نفسه، جـ١، ص٩. محمد الخضرى بك: أصول الفقه، ط٥، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٦٥، ص١٩.

(٤) محمد بن حسين بن حسن الجيزانى: معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، ص٢٣.

(٥) الحسين بن رشيق المالكى: لباب المحصول فى علم الأصول، جـ١، ص١٩٢. أمير عبد العزيز: أصول الفقه، مج١، ص٢٤. محمد الخضرى بك: أصول الفقه، ص١٣.

البعض الأخر بأنه معرفة دلائل الفقه الإجمالية، وكيفية الاستفادة منها، وحال المستفيد[1]. واشتمل هذا التعريف على ثلاثة من مباحث علم الأصول الأربعة وهى الأدلة وطرق الاستنباط والاجتهاد وذلك كما يلى:

- أدلة الفقه الإجمالية هى الأدلة الشرعية المتفق عليها والمختلف فيها. وكيفية الاستفادة منها، أى كيفية استفادة الأحكام الشرعية من الأدلة الشرعية، والمقصود بذلك طرق الاستنباط مثل الأمر والنهى، والعام والخاص، وحال المستفيد أى المجتهد، ويدخل فى ذلك مباحث التعارض والترجيح والفتوى، وبقى من مباحث علم الأصول رابعها وهو مبحث الأحكام[2]. وعلى كلٍّ فإن مباحث هذا العلم أربعة: الأدلة، وطرق الاستنباط، والاجتهاد، والأحكام[3].

قال ابن خلدون: "اعلم أن أصول الفقه من أعظم العلوم الشرعية وأجلها قدرًا وأكثرها فائدة وهو النظر فى الأدلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الأحكام والتأليف، وأصول الأدلة الشرعية هى الكتاب الذى هو القرآن الكريم، ثم السنة المبينة له، فعلى عهد النبى كانت الأحكام تتلقى بما يوحى إليه من القرآن ويبينه بقوله وفعله بخطاب شفاهى لا يحتاج إلى نقل ولا إلى نظر وقياس، ومن بعده صلوات الله وسلامه عليه تعذر الخطاب الشفاهى وانحفظ القرآن بالتواتر، أما السنة فأجمع الصحابة على وجوب العمل بما يصل إلينا منها بالنقل الصحيح، وتعينت دلالة الشرع فى الكتاب والسنة بهذا

---

(١) السنغاتى: الوافى فى أصول الفقه، جـ١، تحقيق أحمد محمد حمود اليمانى، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص١٦٨. اليوسفى: البدور اللوامع فى شرح جمع الجوامع فى أصول الفقه، جـ١، ص١٦٤. حسين حامد حسان: أصول الفقه، ص١١.

(٢) محمد بن حسين بن حسن الجيزانى: المرجع نفسه، ص٢١.

(٣) الغزالى: المستصفى من علم الأصول، جـ١، ص٣٦.

الاعتبار، ثم ينزل الإجماع منزلتها لإجماع الصحابة والاستدلال. أما القياس فبإجماع الصحابة"[1].

والأصولى هو الشخص المنسوب إلى الأصول أى المتصف بذلك العارف بدلائل الفقه الإجمالية وبطرق استفادتها مع المعرفة بتعديلها وترجيح ما يرجح منها، وإسقاط ما يسقط عند تعارضها، ومعرفة صفات المجتهد الذى يستفيد من الأحكام[2]. واختلف الأصوليون فى الأدلة فالمشهور أنها الكتاب والسنة والإجماع والقياس والاستدلال[3]. وأصول الفقه المتفق عليها ثلاثة كتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأمة. والمختلف فيها ثلاثة القياس، والاستحسان، والاستصلاح[4].

نشأ علم أصول الفقه فى ظل علم الفقه كما نشأ الفقه فى حضن الحديث، ولم تكن هناك حاجة لهذا العلم فى حياة النبى عليه الصلاة والسلام، وفى حياة الصحابة والتابعين لأن المسلمين كانوا يفزعون إلى النبى وإلى الأئمة كلما احتاجوا إلى حكم فى مسألة أو قضية، وبالتالى لم يكونوا بحاجة إلى قواعد تنظم عملية استنباط الأحكام[5]. غير أن هذا العلم فى

---

(١) ابن خلدون: العبر، جـ١، ص٤٥٣، ٤٥٢. محمد راغب الطباخ: الثقافة الإسلامية، ص٢٤٣، ٢٤٤.

(٢) اليوسفى: البدور اللوامع فى شرح جمع الجوامع فى أصول الفقه، جـ١، ص١٦١.

(٣) ابن رشيق المالكى: لباب المحصول فى علم الأصول، جـ١، ص١٩٣. السنغاتى: الوافى فى أصول الفقه، جـ١، ص١٦٨. اليوسفى: المصدر نفسه، جـ١، ص ١٦٥. محمد نبيل غنايم: الرسالة للإمام الشافعى، القاهرة، ١٩٨٨، ص٣٣. محمد المختار بن الشيخ محمد الأمين الشنقيطى: مناهج العلماء فى دفع التعارض وترتيب الأدلة، مجلة المجمع الفقهى الإسلامى، العدد١٦، ٢٠٠٣، ص ١٢٥، ١٢٦.

(٤) الخوارزمى: مفاتيح العلوم، ص٧. محمد عادل عبد العزيز: الحضارة الإسلامية وعوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، ص١٧٩.

(٥) حسين حامد حسان: أصول الفقه، ص١٩. محمد كاظم مكى: منطلق الحياة الثقافية فى جبل عامل، دار الزهراء، بيروت، ١٩٩١، ص١٦٤.

خطوطه العريضة وفى بعض مسائله الجزئيـة ظهر مبكراً مع الإسلام، فقد ذكر الإمام على جملة من المبـاحث الأصولية، كالعام والخـاص، والمطلق والمقيد، والناسخ والمنسـوخ فى القـرآن الكريم، والنوافل والفـرائض. وهكذا لم تكن مسـائل علم الأصول وقواعـده مهملة فـى صدر الإسلام. ونسب للإمـامين الصادق والرضا قولهما مخـاطبين الأصحاب والطلاب: "علينا إلقاء الأصول وعليكم التفريع"(١).

كان ذلك إيذانا بمولد علم الأصول واتجاه الذهنية الفقهية اتجاها أصوليا، فانفصل علم الأصول عن علم الفقـه فى البحث والتصنيف، واختلف الناس قديمـا وحديثـا فى أول من دون علم أصول الفقـه وأرسى قواعـده، فذهب الأكثرون إلى أن مؤسس هذا العلم وأول من ألف فيـه الإمام الشافعى، حيث إنه أحـرز قصب السـبق فى هذا الميـدان بتـأليف كتـابه "الرسـالة" وهذا هو المشهور عند المهتمين بتاريخ التشريع الإسلامى(٢).

يعد "الرسـالة" أول كتاب منظم فى أصـول الفقه يضـم القانون الكلى والقواعد العـامة لاستنباط الأحكام الشـرعية وإقامـة الأدلة عليها(٣). وتكلم الشافعى فى رسالته عن الأوامـر والنواهى والبيان والخبر والنسخ وحكم العلة المنصوصة من القياس(٤). ثم تبعه بالتأليف فى أصول الفقه جماعة من فقهاء

---

(١) محمد كاظم مكى: المرجع نفسه، ص١٦٤.

(٢) مجهول المؤلف: رسـالة تشمل على تراجم بعض الأئمة من الفقهـاء المنسوبين إلى الإمام الشافـعى، مخطوطة بمعـهد المخطوطات العـربية، رقم ٣١٢ تاريخ، ميـكروفيلم ١٦٥٦، ص٢. عتيق أحمـد البستوى: دور العلماء الأحناف فى تدوين أصول الفقـه وأهم كتبهم الأصوليـة، مجلة الدراسـات الإسلامـية، العددان الأول والثـانى، المجلد٣٧، ٢٠٠٢، ص١٣٩.

(٣) حسيـن حامد حسـان: أصول الفقه، ص٢٤، ٢٣. مـحمد نبيل غنايم: الرسـالة للإمام الشافعى، ص ٣١، ٣٣.

(٤) أمير عـبد العزيز: أصول الفقـه، ص ١٩، ٢٠. محمد الخضرى بك: أصـول الفقه،=

الحنفية على طريقتهم، ونبغوا فى علم أصول الفقه، وتطور بجهودهم وبلغ ذروة كماله خاصة فى القرن الخامس الهجرى. ومن أشهر المؤلفين فى أصول الفقه أبو زيد عبد الله بن عمر بن عيسى الحنفى الدبوسى (ت٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م) كان من كبار فقهاء الحنفية الأصوليين ممن يضرب به المثل فى النظر واستخراج الحجج، وهو أول من وضع علم الخلاف[1] وأبرزه إلى الوجود وأسس قواعده، وله طريقة حسنة ومصنفات مفيدة، وأجل تصانيفه كتاب تأسيس النظر فى اختلاف الأئمة، ويعتبر هذا الكتاب من أهم كتب الخلاف، وذكر فى مقدمة الكتاب السبب فى تأليفه: " إذ قال أما بعد فإنى لما رأيت تصعب الأمر فى تحفظ مسائل الخلاف على المتفقهين وتعسر طرق استنباطهم عليهم وقصور معرفتهم عن الاطلاع على حقيقة مأخذها. إذا تدبر الناظر فيها عرف مجال التنازع ومدار التناطح عند التخاصم فيصرف عنايته إلى ترتيب الكلام وتقوية الحجج فى المواضع التى عرف إنها مدار القول، ومجال التنازع فى موضع النزاع، فيسهل عليهم تحفظها، ويتيسر لهم سبيل الوصول إلى عرفان مأخذها" . ثم قسم الخلاف بين الفقهاء وجعله ثمانية أقسام؛ فيما بين

=ص٩. محمد عادل عبد العزيز: الحضارة الإسلامية وعوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، ص١٧٩.

(١) علم الخلاف هو علم يبحث عن وجوه الاستنباطات المختلفة من الأدلة الإجمالية أو التفصيلية، وله استمداد من العلوم العربية والشرعية. وغرضه تحصيل ملكة الإبرام والنقض. وفائدته دفع الشكوك عن المذاهب وإبقاعها فى المذهب المخالف*. وهو ما نسميه اليوم فى اصطلاح علم الحقوق الحديث باسم الفقه المقارن، فالدبوسى أول من عنى بتنظيم البحث فى الفقه المقارن بين المذاهب. وجعل منه علمًا مستقلا**.

* الدبوسى: تأسيس النظر، مطبعة الإمام، القاهرة. ١٩٧٢، ص٤. الذهبى: العبر فى خبر من غبر، جـ٢، ص٢٦٣. طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة، جـ١، ص٣٠٧، ٣٠٨.

** أحمد بن محمد الزرقا: شرح القواعد الفقهية، ط٣، دار القلم، دمشق، ١٩٩٣، ص٣٩.

فقهاء الأحناف أنفسهم من جهة وبين هؤلاء والإمام مالك بن أنس ومحمد ابن إدريس الشافعى من جهة أخرى[١].

وكذلك كتاب تقويم الأدلة المعتمد فى أصول الفقه الحنفى، وضمن كتابه هذا آراءه الأصولية وإن كانت تخالف أئمة مذهبه، واعتنى علماء الحنفية بهذا الكتاب، فشرحه الإمام فخر الإسلام على بن محمد البزدوى الحنفى وهو شرح حسن، واختصره الإمام سيف الدين أبو بكر محمد بن الحسين الارسابندى، وشرحه أيضا الإمام بدر الدين محمود بن عبد الكريم الكردى[٢]. وكتاب الأسرار، وكتاب نظم الفتاوى وكتاب خزانة الهدى فى الفتاوى وكتاب الأسرار فى الأصول و الفروع، وكتاب تحديد أدلة الشرع[٣]. وكتاب الأمد الأقصى وهو نصائح وإرشادات أخلاقية كلامية[٤].

وروى أن فقيهًا ناظر أبا زيد الدبوسى فبقى كلما ألزمه أبو زيد إلزاما تبسم وضحك، فأنشد أبو زيد فى ذلك:

مالى إذا ألزمته حجة ... قابلنى بالضحك والقهقهة

إن كان ضحك المرء من فقهه ... فالدب فى الصحراء ما أفقهه[٥].

---

(١) الجوينى: الدرة المضية فيما وقع فيه الخلاف بين الشافعية والحنفية، ص٦١م. الدبوسى: تأسيس النظر، ص ١

(٢) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج١، ص٤٦٧. السغناتى: الوافى فى أصول الفقه، جـ١، ص٨٨، ٨٩.

(٣) الدبوسى: المصدر نفسه، ص٣. الزركشى: تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكى، جـ٢، ص٦٣٧. إسماعيل باشا البغدادى: هدية العارفين، جـ١، ص٦٤٨. عمر رضا كحاله: معجم المؤلفين، مج٢، ص٢٦٦.

(٤) بروكلمان: تاريخ الأدب العربى، جـ٣، ص٢٧٣.

(٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، جـ٣، ص٤٨. الدبوسى: المصدر نفسه، ص٣. ابن قطلوبغا: تاج التراجم، ص٣٦. طاش كبرى زاده: طبقات الفقهاء، ص٧١. اللكنوى: الفوائد البهية، ص١٠٩. محمد بن الحسن الثعالبى الفاسى: الفكر السامى فى تاريخ الفقه الإسلامى، مج٢، ص١٧٩.

ولقد رثاه بعض الأفاضل بقوله:

لو صور الكون عينا تستفيض دما بشق جيبٍ ولطم الوجه بالأيدى

لم توف من حقها ما كان يلزمها من البكاء على القاضى أبى زيد[1]

وفى القرن الخامس صنف فى الأصول الإمام أبو الحسن فخر الإسلام على بن محمد بن حسين بن عبد الكريم بن موسى بن عيسى بن مجاهد البزدوى (ت٤٨٢هـ/ ١٠٨٩م) وكان من كبار فقهاء الحنفية ببلاد ما وراء النهر من سكان سمرقند، وله المصنفات الجليلة، ومن أهمها كنز الوصول فى أصول الفقه، ويعرف بأصول البزدوى[2] وهو كتاب مهم تداوله الناس، وهو الأصل الذى اختصر منه حسام الدين الاخسيكثى كتابه المنتخب[3].

وكان أبو القاسم على بن أبى زيد بن حمزة الحسينى الدبوسى (ت٤٨٢هـ/ ١٠٨٩م) من كبار أئمة الشافعية، إماما جليل القدر كامل المعرفة بالفقه والأصول والنظر والجدل، وله باع" ممتد" فى المناظرة ومعرفة الخلاف، انتهت إليه رئاسة الشافعية مع التفنن فى جميع العلوم. قدم بغداد وولى تدريس النظامية، ولم يزل على التدريس إلى حين وفاته[4].

---

(١) تقى الدين التميمى الغزى: الطبقات السنية فى تراجم الحنفية، جـ٤، ص١٧٧.

(٢) الذهبى: سير أعلام النبلاء، جـ١٨، ص٦٠٣، ٦٠٢. الزركشى: تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكى، جـ١، ص٢٠١. الصفدى: الوافى بالوفيات، جـ٢١، ص٤٣٠. ابن قطلوبغا: تاج التراجم، ص٤١ بروكلمان: تاريخ الأدب العربى، جـ٦، ص٢٨٨. ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد دوم، ص٢٦٣.

(٣) السغناقى: الوافى فى أصول الفقه، جـ١، ص٨٩.

(٤) ابن الأثير: اللباب فى تهذيب الأنساب، جـ١، ص٤٩٠. الذهبى: المصدر نفسه، جـ١٩، ص٩١، ٩٢. السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، جـ٥، ص٢٩٦، ٢٩٧. ابن الصلاح الشهرزورى: طبقات الفقهاء الشافعية، جـ٢، ص٨١٨. ابن كثير: طبقات الفقهاء الشافعيين، جـ٢، ص٤٨٣.

وأبو اليسر محمد بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم البزدوى (ت٤٩٣هـ / ١١٠٠م) أخو الإمام على البزدوى الذى أسلفنا ذكره، كان شيخ الحنفية ببلاد ما وراء النهر بعد أخيه، إمام الأئمة على الإطلاق والموفود إليه من الآفاق سكن سمرقند، له التصانيف الجليلة فى الأصول والفروع[١].

تجدر الإشارة هنا إلى أن تناول علم أصول الفقه اختلف تمامًا فى القرن السادس عنه فى القرن الخامس، فقد اهتم الأصوليون الأحناف فى القرن السادس فى مدن إقليم الصغد بشرح كتاب البزدوى والسرخسى، وتوقف تطور أصول الفقه الحنفى وانصرفت همم الأحناف إلى كتابة الشروح والتعليقات على كتاب البزدوى. ولا نجد فى هذا القرن كتبًا هامة نافعة للأحناف إلا كتابين: أحدهما ميزان الأصول فى نتائج العقول للإمام أبى بكر محمد بن أحمد السمرقندى (ت٥٣٩هـ/ ١١٤٤م) صاحب تحفة الفقهاء. وثانيهما بذل النظر فى الأصول أو الميزان فى أصول الفقه للإمام علاء الدين محمد بن عبد الحميد الأسمندى السمرقندى (ت٥٥٢هـ/ ١١٥٧م)[٢]. ولا يعنى هذا عدم وجود بعض المؤلفين لهذا العلم وإن لم يبلغوا درجة عالية.

ومن علماء أصول الفقه فى القرن السادس الهجرى أبو على الحسين بن على بن أبى القاسم اللامشى السمرقندى (ت٥٢٢هـ/ ١١٢٨م) كان إمامًا فاضلاً مناظرًا، له الباع الطويل فى المناظرة، يضرب به المثل فى علم الخلاف، وكان على طريقة السلف من طرح التكلف والأمر بالمعروف والنهى

---

(٤) الذهبى: المصدر نفسه، جـ١٩، ص٤٩. طاش كبرى زاده: طبقات الفقهاء، ص٨٦. القرشى: الجواهر المضية، جـ٤، ص٩٨، ٩٩. اللكنوى: الفرائد البهية، ص١٢٥. عمر رضا كحاله: معجم المؤلفين، مج٣، ص٦٣٨.

(١) عتيق أحمد البستوى: دور العلماء الأحناف فى تدوين أصول الفقه وأهم كتبهم الأصولية، ص١٥٢.

عن المنكر، وكان قوالاً بالحق يدخل على الملوك ويقول الحق فى وجههم[١].
وأبو جعفر محمد بن الأنور بن المظفر بن محمد بن سهل بن إبراهيم الكشانى (ت٥٢٤هـ/ ١١٣٠م) كان من كبار علماء الخلاف[٢]. كما يعد أبو حفص عمر بن عبد العزيز البخارى المعروف بالحسام (ت٥٣٦هـ/ ١١٤١م) من كبار الأصوليين تفقه على أبيه واجتهد إلى أن صار أوحد عصره وفريد دهره فى علم النظر، وارتفع أمره ببلاد ما وراء النهر عند الخاص والعام، ومن أثاره كتاب أصول الفقه، وعاش فى حرمة وافرة إلى أن رزقه الله الشهادة فى سمرقند فى موقعة قطوان[٣].

كما كان أبو بكر محمد بن أحمد بن أبى أحمد علاء الدين شمس النظر السمرقندى الحنفى (ت٥٣٩هـ/ ١١٤٤م) من أئمة الفقهاء الأصوليين، ذا حظ وافر فى الرواية والدراية، متبحراً فى العلوم الفقهية والأصولية، ومن أهم مصنفاته ميزان الأصول فى نتائج العقول، وهو كتاب متوسط الحجم، ليس فيه إطناب ممل ولا إيجاز مخل،أسلوبه سهل، عذب سلس وترتيبه منطقى، ومن منهجه عرض الآراء المختلفة وبيان كل حجة دون الدخول ـ فى الغالب ـ فى المناقشة والجدل، وله أيضا كتاب اللباب فى أصول الفقه[٤].

---

(١) الذهبى: تاريخ الإسلام، جـ٣٦، ص٧٢. سبط بن الجوزى: مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان،جـ٨، ص١٢٧. السمعانى: الأنساب، جـ٥، ص٦٧١. ابن فضل الله العمرى: مسالك الأبصار، جـ٦، ص١٠٠. ابن الفوطى مجمع الآداب، مج٢، ص٥٨.

(٢) العسقلانى: تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، جـ٣، ص١٢١٦.

(٣) الاسنوى: طبقات الشافعية، جـ١، ص٢٠٨. ابن الصلاح الشهرزورى: طبقات الفقهاء الشافعية، جـ٢، ص٨٢٢. ابن فضل الله العمرى: المصدر نفسه، جـ٦، ص١٠٢. بروكلمان: تاريخ الأدب العربى، جـ٦، ص ٢٩٤، ٢٩٥.

(٤) الزركشى: تشنيف المسامع بجمع الجوامع، جـ١، ص٢٨٧. السغناتى: الوافى فى أصول الفقه، جـ١، ص٩٠. علاء الدين السمرقندى: ميزان الأصول، ص١٦، ١٧م. عتيق أحمد البستوى: دور العلماء الأحناف فى تدوين أصول الفقه وأهم كتبهم الأصولية، ص١٥٢، ١٥٣.

وأبو الفتح محمد بن عبد الحميد بن الحسين بن الحسن بن حمزة السمرقندى المعروف بالعلاء العالم (٥٥٢هـ/ ١١٥٧م) كان من الأئمة المشهورين فى الفروع والأصول، إماما فاضلا مناظراً له الباع الطويل فى علم الخلاف والجدل، صنف التصانيف فى علم الخلاف، منها الطريقة المعروفة بطريقة العلاء العالم فى مجلدات يقال لها التعليقة، وشرح منظومة الخلافيات للنسفى، وكتاب بذل النظر فى الأصول، وهو كتاب نفيس يحتوى على أبواب عديدة يجمع كل واحد منها مسائل منتظمة، واختلف منهج المؤلف فى معالجة الأبواب بحسب طبيعة القضايا[١]. وكتاب طريقة الخلاف فى الفقه، وهذا الكتاب أحاط بأحكام الفقه فى مجملها وتفصيلها مدركا بحكمها وعللها مميزا عن وعى كامل بين المتشابهات والمختلفات منها[٢] والكتاب من أوله إلى أخره يسير على نهج واحد، فهو أولا يورد حكم المسالة ويعقبه غالبا بالحكم المخالف بقوله: "كثيرا وعنده"[٣]، وجمع فيه المؤلف أكثر من مائتى مسألة فرعية مختلف فيها وزعها على اثنين وثلاثين كتابا[٤].

وبعد القرن السادس الهجرى تجمدت الحركة التأليفية فى أصول الفقه، وجاء دور المتون والشروح فى العلوم الإسلامية كلها، ومال علماء الأصول

---

(١) الأسمندى: بذل النظر فى الأصول، ص٢٣. الداودى: طبقات المفسرين، جـ٢، ص١٧٧. السيوطى: طبقات المفسرين، ص٣٥. العسقلانى: لسان الميزان، جـ٥، ص٢٤٣. ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، مج٤، جـ١، ص١٥. ابن فضل الله العمرى: مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار، جـ٦، ص ١١٥. اللكنوى: الفرائد البهية، ص١٧٦. ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٢، ص٢٥٤.

(٢) الأسمندى: طريقة الخلاف فى الفقه بين الأئمة الأسلاف، ص٢٤.

(٣) الأسمندى: طريقة الخلاف فى الفقه بين الأئمة الأسلاف، ص٤٣.

(٤) هشام نشابه وآخرون: موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، مج١، ص٦٧٨.

إلى تأليف المتون الموجزة المعقدة وشرحها وكتابة التعليقات والحواشى عليها[١] ومن علماء الأصول فى القرن السابع الهجرى الإمام أبو حامد ركن الدين محمد بن محمد العميدى السمرقندى الحنفى (ت٦١٥هـ/١٢١٨م) كان إماما فى الخلاف، ومن تصانيفه: الجست، وطريقته فيه مشهورة وشرحها جماعة منهم بدر الدين الطويل المراغى[٢] وكتاب الإرشاد فى علم الخلاف والجدل، والطريقة العميدية، وكتاب النفائس[٣]. وهذا الأخير اختصره القاضى شمس الدين الخوبى وسماه عرايس النفائس[٤]. ويعد العميدى أول من أفرد علم الخلاف بالتصنيف، ومن تقدمه كان يمزجه بغيره من العلوم، وهو أحد الأركان الذين اشتهروا من تلامذة رضى الدين النيسابورى، وهم ركن الدين الطاووسى، والعميدى هذا، وركن الدين إمام زاده تميزوا وتبحروا فى هذا الفن، وكل واحد ينعت بالركن، وصنف العميدى الإرشاد واعتنى بشرحه جماعة من أرباب هذا الشأن، منهم القاضى شمس الدين أبو العباس أحمد ابن الخليل بن سعادة بن جعفر، وصنف العميدى كذلك طريقة مشهورة بين الفقهاء واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به، ومنهم نظام الدين أحمد بن الشيخ[٥].

---

(١) عتيق أحمد البستوى: دور العلماء الأحناف فى تدوين أصول الفقه وأهم كتبهم الأصولية، ص١٥٣.

(٢) الصفدى: الوافى بالوفيات، جـ١، ص٢٨٠. ابن الوردى: تاريخ ابن الوردى، جـ٢، ص١٣٦. عبد الله الرازى: تاريخ كامل إيران، ص٢٢٥.

(٣) ابن العماد: شذرات الذهب، جـ٥، ص٦٤. ابن قطلوبغا: تاج التراجم، ص٥٨. الزركلى: الأعلام، جـ٧، ص٢٧.

(٤) القارى: طبقات الحنفية، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، ص٤٨. الصفدى: الوافى بالوفيات، جـ١، ص٢٨٠، ٢٨١. اليافعى: مرآة الجنان، جـ٤، ص٣١.

(٥) الذهبى: سير أعلام النبلاء، جـ٢٢، ص ٧٦،٧٧. القرشى: الجواهر المضيه، جـ٣، ص٣٥٥، ٣٥٦. اللكنوى: الفرائد البهيه، ص٢٠٠. اليافعى: المصدر نفسه، جـ٤، ص٣١ محمد بن الحسن الثعالبى الفاسى: الفكر السامى فى تاريخ الفقه الإسلامى، مج٢، ص١٨٣.

خلاصة القول بلغ علم أصول الفقه فى القرن الخامس الهجرى أوج قمته وازدهاره وتكاملت فيه العلوم الإسلامية، وظهرت فيه شخصيات بارزة قوية ألفت فيه الكتب التى أصبحت مرجعا لمختلف العلوم الإسلامية، مع أن هذا القرن قرن الضعف والاضمحلال والتفكك السياسى فى مدن إقليم الصغد والعالم الإسلامى ككل، وما أن جاء القرن السادس الهجرى حتى توقف تطور علم أصول الفقه، واكتفى معظم العلماء بكتابة الشروح والتعليقات، وما أن انتهى هذا القرن حتى جاء دور المتون والشروح فى العلوم الإسلامية بصفة عامة وعلم أصول الفقه بصفة خاصة.

سادسًا: علم التصوف

التصوف منهج سلوكى يقوم على ركائز روحية ووجدانية تؤدى إلى صفاء القلب ونقاء السريرة[1]، بملازمة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والزهد فى الدنيا. يقول السبكى عن الصوفية: " إنهم أهل الله سبحانه وتعالى وخاصته الذين ترتجى الرحمة بذكرهم وينزل الغيث بدعائهم "[2].

بينما يعرفه ابن خلدون بقوله: "هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة فى الملة وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم طريقة الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومالٍ وجاهٍ والانفراد عن الخلق فى الخلوة للعبادة[3]. أما شيخ الإسلام زكريا الأنصارى فيقول: " التصوف ترك

---

(١) أسعد السحمرانى: التصوف منشؤه ومصطلحاته، بيروت، ١٩٨٧، ص٣٠ .

(٢) السبكى: معيد النعم ومبيد النقم، ص ١٢٠.

(٣) ابن خلدون: العبر، جـ١، ص٤٦٧. محمد لطفى جمعة: تاريخ فلاسفة الإسلام، القاهرة، ١٩٩٤، ص٢٧٥.

الاختيار، وحفظ حواسك ومـراعاة أنفاسك، ويقال هو الجد فى السلوك إلى ملك الملوك، ويقال هو الإكباب على العمل والإعراض عن العلل"[1].

فى الواقع أننا إذا أردنا أن نعرف التصـوف فلن نجد تعريفا جامعـا مانعا متـفقـا عليه، حـيث عرفـه كل صوفى بطريقـة خاصـة تعبـر عن إحسـاسه ووجدانه، وتترجم تجربته الخاصة[2].

تعددت الآراء عند مؤرخى الفـكر الإسلامى حول حقيـقة المصدر الذى اشتقت منه كلمة صوفية، فعزوا التـسمية إلى الصفة، وهى فناء ملحق بمسجد الرسول، وانتسب بعـض المسلمين إليه فعرفـوا بأهل الصفة، وكانوا يتـميزون بالزهد والإعـراض عن الدنيا. كـما عزوها إلى الـصوفة، وهم الذيـن كانوا يقـومون على خـدمة الكعـبة فى الجـاهلية. وإلى الصـوف، نسبـة إلى لبس الصوف، وإلى الصفاء[3]. وسمى كبـير هذه الطائفة شيخ الشيـوخ، وأتباعه بالمريدين. ويقول محمد بن المنور: " إن مـدار الطريقة على الشيخ لأن الشيخ فى قومـه كالنبى فى أمـته، وهذا العلم - التصـوف - لا يأتى إلا عن طريق العشق، فليس الدنيا بالتمنى ولا بالتجلى ولكن بشىء وقر فى القلب وصدقه العمل"[4].

---

(١) زكريا الأنصارى: شرح كتاب الرسالة القشيرية فى علم التصوف لأبى القاسم عبد الكريم القشيرى، القاهرة، ١٩٤٨، ص١٢٦.

(٢) عمر فروخ: تاريخ الفكر العـربى، بيروت، ١٩٦٢، ص٣٧٨. ملكة على التركى: مدخل إلى الأدب الصوفى، ص٦.

(٣) أبو نعيم الأصفهانى: حلية الأوليـاء وطبقات الأصفياء، جـ١، بيروت، ١٩٨٨، ص١٧. الهجويرى: كشف المحجوب، تحقيق إبراهيم الـدسوقى شتا، دار التراث العربى للطباعة، القـاهرة، ١٩٧٦، ص٣٩. أسـعد الـسحـمرانى: التـصـوف منشـئوه ومـصطلحـاته، ص١٧-١٩. عبد المنعم الحفنى: موسوعة الفرق، ص٢٧٩، ٢٨٠. محمد لطفى جمعة: المرجع نفسه، ص٢٧٥. سليم نيسارى: تاريخ أدبيات إيران بعد از إسلام، ص٥١.

(٤) محمد بن المنور بن أبى سعيد: أسرار التوحيد فى مقامات الشيخ أبى سعيد، ص٦٥.

كان المتصوفة يعيشون فى أماكن خاصة بهم تعرف باسم الخانقاوات يخضعون فيها لنظام دقيق فى السلوك الروحى[١] حيث إنهم حبسوا أنفسهم على التعبد دون أن يزاولوا أى عمل من شئون الدنيا معتمدين على ما يوقفه عليهم أهل اليسار مما يكفيهم لمطعمهم وملبسهم، وغير ذلك من أغراض الحياة الدنيا التى لابد منها لمعاشهم وحياتهم اليومية[٢]. انتشرت الخانقاوات فى جميع أرجاء العالم الإسلامى ابتداءً من القرن الخامس الهجرى، ووضعوا فيها نظامًا معينًا للحياة، وكان من التقاليد المتبعة فى هذه الخانقاوات إقامة حلقات السماع التى يردد فيها القوالون أشعارا فى الغزل يفسرونها تفسيرًا صوفيًا[٣].

لاشك أن التصوف الإسلامى مر بمراحل مختلفة متمايزة، فكان الزهد هو المرحلة الأولى فى القرنين الأول والثانى الهجريين، حيث بدأ التصوف فى صورته البسيطة على يد صحابة رسول الله والتابعين، متمثلا فى الزهد فى متاع الحياة الدنيا، لكن التصوف فى هذه الفترة لم يكن تصوفا بالمعنى الاصطلاحى لهذه الكلمة الذى عرف فيما بعد[٤]، وفى أواخر القرن الثانى الهجرى تحول الزهد إلى تصوف، وانقسم علم الشريعة إلى قسمين علم الفقه الذى يبحث الأحكام التى تجرى على الجوارح، وعلم التصوف الذى يبحث فى باطن الشريعة وتفهم أسرارها والنظر إلى العبادات وأثرها فى النفوس وما يترتب عليها من أحوال نفسية وفوائد روحية، وبذلك تدرج التصوف فانتقل

---

(١) عبد اللطيف محمد العبد: التصوف فى الإسلام وأهم الاعتراضات الواردة عليه، ط٣، دار الهانى للطباعة، القاهرة، ص٩٣. سليم نيسارى: المرجع نفسه، ص٥٢.

(٢) طه الولى: المساجد فى الإسلام، ص٨٩.

(٣) إسعاد عبد الهادى قنديل: فنون الشعر الفارسى، ط٢، دار الأندلس للطباعة، بيروت، ١٩٨١م ص٥٧.

(٤) فخر الدين الرازى: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص١١٠. ابن القيسرانى: صفوة التصوف، ص٥٧.

من زهد بسيط لا قواعد له إلى حياة روحية منظمة، ومؤسسة على قواعد مرسومة[١].

ثم دخل التصوف بعد ذلك فى دور جديد، هو دور المواجد والكشف والأذواق[٢] ويقع هذا الدور فى القرنين الثالث والرابع الهجريين اللذين يمثلان العصر الذهبى للتصوف الإسلامى فى أرقى مراتبه، حيث أصبح طريقا لتصفية النفس، وتحصيل المعرفة، وظهر للتصوف فى تلك المرحلة اتجاهان متميزان، أحدهما سنى يتقيد أصحابه فيه بالكتاب والسنة. والآخر شبه فلسفى، ينزع أصحابه فيه إلى الشطحات[٣].

واتخذ التصوف فى القرن الخامس الهجرى اتجاها سنيا، واستقر على أساس نظرى وعملى ثابت، وتمهدت قواعده العامة، واتضحت النواحى الفكرية لكبار الصوفية، وازدادت مسائل الصوفية نضجا وشمولا وفسرت غوامض الأقوال[٤] بينما عاد التصوف الفلسفى فى القرنين السادس والسابع الهجريين بصورة أشد، وهو تصوف عمد أصحابه إلى مزج أذواقهم الصوفية بأنظارهم العقلية وذلك نتيجة لتأثر التصوف بالآراء الفلسفية والعقائد الكلامية[٥].

كان التصوف هو المصب الذى التقت فيه معظم روافد الفكر فى هذه الفترة فوجدنا بين صفوف الصوفية من هو سلفى يلتزم بظاهر النص، ولا يجنح إلى التأويل. كما وجدنا فى صفوفهم كثيراً من أهل السنة، الذين

---

(١) عبد الرزاق الكاشانى: اصطلاحات الصوفية، تحقيق عبد الخالق محمود، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤، ص٩.

(٢) فخر الدين الرازى: المصدر نفسه، ص١١٠. ابن القيسرانى: المصدر نفسه، ص٥٧.

(٣) عبد الرزاق الكاشانى: المصدر نفسه، ص ٩، ١٠.

(٤) قاسم غنى: تاريخ التصوف فى الإسلام، ص٦٢١.

(٥) قاسم غنى: المرجع نفسه، ص٦٨٩.

اعتمدوا على العقل والنقل، بل وجدنا بين صفوفهم من ينتمى إلى الشيعة[١] ذلك أن التصوف لا يمثل فرقة معينة ولا مذهبا مستقلا[٢] ومن ثم لم يكن من العجيب أن يتسع لمعظم المذاهب والفرق لأنه ـ فى الغالب – نزعة روحية سلوكية لا تعرف حدودًا مكانية ولا تختص بها فرقة مذهبية دون أخرى[٣]. وبالتالى كان ميدان التصوف من أرحب الميادين التى تجلت فيها إسهامات علماء مدن إقليم الصغد فى أروع صورها.

فالتصوف الإسلامى الذى ظهر على أيدى مشايخ إقليم الصغد وجرت به ألسنتهم قد صب فيه روافد عديدة، ومما يلفت النظر عند صوفية سمرقند وباقى مدن الإقليم أمران: أولهما وفرة التأليف الذى قام به العلماء فى ميدان التصوف. والأمر الثانى اهتمام الصوفية بالسياحة ـ الرحلة والسفر ـ طلبًا للحقيقة حيثما كانت، أو لنشر علومهم[٤].

ازدهر التصوف فى مدن إقليم الصغد فى العصر السلجوقى وذلك لانتشار التعصب والمنازعات الدينية بين الفرق الإسلامية، واستخدمت كل فرقة من هذه الفرق العلم كوسيلة للتفوق على الفرق المخالفة لها، وفى ظل هذه الظروف لم يتدخل المتصوفة فى هذه المنازعات، بل التزموا الحياد مع كافة الفرق[٥]. ومن ضمن العوامل التى ساعدت على ازدهار التصوف فى هذا

---

(١) عبد المجيد أبو الفتوح بدوى: التاريخ السياسى والفكرى للمذهب السنى فى المشرق الإسلامى، ص٥٢.

(٢) بطروشوفسكى: الإسلام فى إيران، ترجمة السباعى محمد السباعى، ط٢، القاهرة، ١٩٩٣م، ص١٦٢.

(٣) عبد المجيد أبو الفتوح بدوى: المرجع نفسه، ص٥٣.

(٤) إبراهيم الدسوقى شتا: دور المتصوفة الايرانيين فى ميدان التصوف الإسلامى وسياحتهم فى مصر، ص ٢٥٢، ٢٥٣.

(٥) قاسم غنى: المرجع نفسه، ص ٦٦٦، ٦٦٧.

الإقليم؛ الاضطرابات السياسية حيث أدت الفتن والثورات إلى حالة من الخوف عند السكان فأثر بعضهم العزلة وأظهروا الزهد فى الدنيا وانزووا فى الخانقاوات وتفرغوا فيها للعبادة[١]. ومن ثم حظى شيوخ الصوفية بالإجلال والتعظيم، وارتفع شأنهم وعظم تأثيرهم فى حياة الناس، وأصبح التصوف علما مدونا له علماؤه الذين ينشرون مبادئه وتعاليمه ويدعون له. ومن أشهر علماء التصوف فى مدن إقليم الصغد أبو بشر عبد الله بن محمد بن محمد بن أحمد بن هارون النيسابورى الصوفى (ت٤٣٥هـ / ١٠٤٣م) نزيل سمرقند وكان له بها أمالى[٢]. والشيخ أبو محمد عبد الخالق بن أبى مالك البلخى الصوفى (ت٤٤٨هـ / ١٠٥٦م) دخل سمرقند وحدث بها[٣]. ومن بينهم الشيخ أبو الوليد الحسن بن محمد بن على ابن محمد الدربندى البلخى المحدث الصوفى (ت٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م) كان أحد المشايخ المشهورين الجوالين فى طلب الحديث، قدم نيسابور، ودخل سمرقند وتوفى بها[٤].

كما كان الشيخ الإمام أبو الحسن على بن إسماعيل الخراط السمرقندى (ت٥١٠هـ / ١١١٦م) من كبار المتصوفين، له مجلس إملاء فى رباط المربع[٥] والشيخ أبو حفص عمر ابن عبد الله الصوفى الصندوقى السمرقندى (ت٥١١هـ/ ١١١٧م) الذى أجاز للنسفى جميع مسموعاته وهى كثيرة[٦].

وكان الشيخ طاهر بن يونس بن على الفانى (ت٥١٩هـ/ ١١٢٥م) المقيم

---

(١) ملكة على التركى: مدخل إلى الأدب الصوفى، ص٢١.

Ignace Goldziher, A Short History of Classical Arabic Literature , p54.

(٢) النسفى: القند فى ذكر علماء سمرقند، ص٣٣٨.

(٣) النسفى: المصدر نفسه، ص٣٨٧.

(٤) ناجى معروف: مدارس قبل النظامية، ص٢٩.

(٥) النسفى: المصدر نفسه، ص٥٦٤.

(٦) النسفى: المصدر نفسه، ص٤٧٨.

بسمرقند فى رباط بيت أبى الأشعث، من أشهر المتصوفين[١]. والشيخ أبو يعقوب يوسف بن أيوب بن الحسن الهمذانى الزاهد (ت٥٣٥هـ/ ١١٤٠م) شيخ الصوفية بمرو وبقية مشايخ الطريق العاملين، رحل فى طلب العلم إلى سمرقند وبخارى وأصبهان، وله مؤلفات جليلة منها كتاب منازل السالكين، وكتاب زينة الحياة[٢].

ومن المتصوفين المشهورين الشيخ الإمام العلامة أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل النسفى السمرقندى (ت٥٣٧هـ/ ١١٤٢م) له كتاب" فرق متصوفة" أوله بسملة هذا كتاب بيان مذاهب أهل التصوف، يحتوى على أربعين رسالة، ثم يذكر أن أهل التصوف أثنتا عشرة، إحدى عشرة منها ضالة، وواحدة على طريق الصواب[٣]. والشيخ أبو محمد مظهر الدين محمود بن محمد بن العباس بن أرسلان الخوارزمى صاحب الكافى فى الفقه (ت٥٦٨هـ/ ١١٧٢م) كان إماما فى الفقه والتصوف، نزيل سمرقند سمع بها أحمد بن عبد الواحد الفارسى[٤].

والشيخ ركن الإسلام محمد بن أبى بكر السمرقندى المعروف بإمام زاده (٥٧٣هـ / ١١٧٧م) كان إماما فاضلا يعظ الناس ويتكلم من علوم الصوفية، أخذ طريق التصوف عن يوسف الهمذانى، وكتابه شرعة الإسلام إلى دار السلام، كان مشتملا على المسائل الفقهية والآداب الصوفية[٥].

---

(١) النسفى: المصدر نفسه، ص٢٨٨.

(٢) الذهبى: العبر فى خبر من غبر، جـ٢، ص٤٤٩. ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، جـ٤، ص١١٠. حسن مينوجهر: كارنامه بزركان إيران، ١٣٤٠، ص١٨٥، ١٨٦. الزركلى: الأعلام، جـ٨، ص٢١٩، ٢٢٠.

(٣) آقا بزرك: الذريعة، جـ١٦، ص١٨٠.

(٤) السبكى: طبقات الشافية الكبرى، جـ٧، ص٢٨٩.

(٥) ركن الإسلام محمد بن أبى بكر السمرقندى: شرعة الإسلام إلى دار السلام، ص٢٦، ٢٧م. آقا بزرك: المرجع نفسه، جـ٦، ص٥٤.

خلاصة القول أدت الاضطرابات السيـاسية والـصراعات المذهبـية التى عانى منها الناس فى مـدن إقليم الصغد إلى ازدهار التصـوف هربا من متاعب الحياة الدنيا. وقـد حظى المتصوفون باحترام وتقـدير الحكام والناس، لبعدهم عن دائرة التعصب التى عـانى منها المجتمع آنذاك، والتزامهم الحـياد مع كافة الفرق والمذاهب. ومن ثم زخـرت سمرقند بـعدد عظيم من علماء التـصوف الذين خلفوا مصنفات عظيمة آثرت المكتبة الإسلامية.

❊ ❊ ❊

obeikandl.com